أعظم كلمات الله

الجزء الأول

كتبه

فضيلة الشيخ أمين الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين

مُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ،

وبعد:

فقد قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا مَفَاتِيحٌ لِلْخَيْرِ) فقد كنت في زيارة للبلد الكريم أهله، والعزيز على قلبي -الكويت الحبيب- فأشار عليّ فضيلة الشيخ جاسم العنَاتي بكتابة شيء في الفاتحة يكون خفيفًا لحامله، سهلًا على قارئه.

وكنت أظن الكتابة فيها في متناول يدي، فإذا بها أعلى من الثريا، ودونها السماء.

وكنت أتصور أنني أغترف من نهرٍ، فإذا بي قد نزلت محيطًا لا شطوطَ له.

لكن أعانني الله بفضله وخرج هذا المؤلَّف في هذه الصورة المتواضعة.

فالفاتحة هي أعظمُ ما قال الله في كتابه؛ لقول النبي ﷺ في لسعيد بن المعلى: «أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ» فكانت الفاتحة هي تلك السورة، وهي أجمع سور القرآن للخير. ومن فضل الله تعالى على عباده أنه قد بارك لهم في يسير الطاعة بكثير الأجر والعطاء، كما جعل سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، وجعل قول لا إله إلا الله أعظم أركان الإسلام، فدل ذلك على أن فضل العبادة ليس على كثرتها وإنما على درجتها وبركتها، ولذلك كان هذا المؤلَّف وهو الجزء الأول من سلسلة أسميتها (أعظم كلمات الله) ويليه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى مع كلمات أخر من كتاب الله المبارك.

وعسى الله أن يعفوعني على ما كان مني، فلم تزل يدي بالدعاء مرفوعة أن يقبلني الله قبول الغني الكريم للمتسولين على موائد بره وإحسانه، كما أسأله سبحانه أن ينفع به قارئه وينضر وجهه.

وجزى الله خيراً كل من أعان على نشر هذا الكتاب بداية ممن كان سبباً فيه ومن كتبه ونشره وساهم في توزيعه، فالدال على الخير كفاعله

كتبه

فضيلة الشيخ ياسين الأنصاري

مِنْ فَضَائِلِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ

قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلاَ فِي الْإِنْجِيلِ، وَلاَ فِي الزَّبُورِ، وَلاَ فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ»[1].

إن سورة الفاتحة هي أعظم سورة في القرآن.

إنها أعظم من سورة البقرة، وآل عمران التي تحاجان عن صاحبهما يوم القيامة.

وأجمل من الفتح، وأكمل من الإخلاص، وأرقى من المعوذتين.

إنها الفاتحة للخير، والجامعة للبِّر، إنها أم الكتاب، وأعلى من السحاب، ودعاؤها مُستجاب.

---

(١) رواه ابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحيهما»، والحاكم باختصار عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أُبيٍّ، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ورواه الترمذي، وقال: «حديث حسنٌ صحيح».

إنها الصلاة، وأجمل مناجاة، مقسومة بين العبد ومولاه.

إنها نور، وشفاءٌ لما في الصدور، ولا يوجد مثلها في الإنجيل، ولا في الزبور.

إنها أعظم ما في القرآن، وما أُنزِل كفؤها في التوراة ولا في الفرقان.

إنها الحمد والثناء، والتوحيد والدعاء، والهداية والشفاء.

١- الفاتحة أعظم سورة في القرآن:

وهذا ما أخبر به النبي ﷺ صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبشَّر به أمته، ويسوق لنا تلك البُشرى سعيدُ بن المُعلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال:

قال لي النبي ﷺ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟»، فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج، قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن، قال: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»[(١)].

(١) رواه البخاري [٥٠٠٦] باب: فضل فاتحة الكتاب، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

٢- لم ينزل مثل الفاتحة في أي كتاب من السماء:

وهذا يشير إلى فضلها وكمالها، فلم تظفر أمةٌ من اليهود ولا النصارى بمثلها، ولم يتنزل في الكتب المقدسة سورة في جلالها.

عن أُبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال له: «تُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ، وَلاَ فِي الزَّبُورِ، وَلاَ فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟» قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلاَةِ؟» قال: فقرأ (أم القرآن) - الفاتحة، فقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ، وَلاَ فِي الزَّبُورِ، وَلاَ فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ»[(١)].

٣- الملائكة تُبَشِّر بنور (الفاتحة) وبركتها:

وتلك البُشرى نزل بها مَلَك لم ينزل إلى الأرض إلا من أجلها،

(١) رواه ابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحيهما»، والحاكم باختصار عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أُبيٍّ، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ورواه الترمذي، وقال: «حديث حسنٌ صحيح».

ومبشرا بأن كل ما فيها من حروف الدعاء والرجاء والثناء مُستجاب عند الله سبحانه.

وهذا النور يسوقه لنا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فيقول: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا[١] مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»[٢].

٤- من قرأ الفاتحة ردَّ الله عليه، ولبَّى نداءه، وأجاب دعاءه:

وهذا من أعظم ما كُوفِئ به المصلُّون، وأجمل ما جُوزِيَ به القارءون، أن الله سبحانه يذكرهم كما يذكروه، ويُجيبهم إذا سألوه في قراءة الفاتحة في الصلاة، حتى أن الله سبحانه سمَّى الفاتحة: الصلاة، وأنه قد قسَمها بينه وبين عبده نصفين.

(١) النقيض: هو الصوت.

(٢) رواه مسلم، والنسائي، والحاكم، وقال: «صحيح على شرطهما».

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ -وفي رواية: «فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي»-، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[(١)].

وهذا الحديث يحدث بين العبد وربه في كل ركعة في الصلاة سبعة عشر مرة في اليوم والليلة.

قوله: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ» يعني: القراءة، بدليل تفسيره بها، وقد تُسمَّى القراءة صلاة لكونها جزءًا من أجزائها، واللهُ أعلم[(٢)].

(١) رواه مسلم.
(٢) «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢/ ١٨٠).

٥- الفاتحة أم الكتاب[١]:

قال النبي ﷺ: «أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ»[٢].

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسُمِّيت أم الكتاب؛ لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويُبدأ بقرائتها في الصلاة».

وقيل: إنما سُمِّيت بذلك لرجوع معاني القرآن كله إلى ما تضمنته.

قال ابن جرير: «والعرب تسمي كل جامع أمر أو مُقَدِّمٍ لأمرٍ إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع (أُمًّا)، فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ: أُمُّ الرأس، ويسمون لواء الجيش، ورايتهم التي يجتمعون تحتها: أُمًّا.

قال: وسُمِّيت مكة: أُمُّ القرى؛ لتقدُّمها.

قال العلماء: أنها تشتمل على مُجمل معاني القرآن في: التوحيد،

(١) «تفسير ابن كثير»: (١/ ١٠٢). ت: سلامة.

(٢) رواه البخاري: [٤٧٠٤]، باب: (قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]).

والأحكام، والجزاء وطرق بني آدم -أي أنواعهم، وغير ذلك؛ ولذلك سُمِّيت الفاتحة (أمُّ القرآن)، والمرجع للشيء يُسمَّى أُمًّا»[١].

٦- الفاتحة أهم ما في الصلاة:

وهذا حديث يدل على أهمية قراءة الفاتحة في الصلاة:

قال النبي ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ» - ثلاثًا غير تمام. وفي رواية: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ»[٢] - أي: الفاتحة، فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام؟ فقال: «اقرأ بها في نفسك»، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ،...»، ثم ساق الحديث بتمامه[٣].

---

(١) «تفسير الفاتحة» للشيخ: ابن العثيمين: (١/ ٣).
(٢) رواه مسلم عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٣) المصدر السابق.

٧- قولوا: آمين يُجِبْكُمُ رَبُّكُمْ، ويُحِبُّكُمْ، ويَغْفِر لكُمْ:

فإن الفاتحة أولها حمدٌ وثناء، وخِتامُها دعاءٌ ورجاء، وقول: آمين بعدها قد شُرِعَ لنا تأمينًا لما فيها من الثناء والدعاء.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[(١)]، وفي رواية: «فَقُولُوا: آمِينَ يُجِبْكُمُ الله»[(٢)]، وفي رواية: «فَقُولُوا: آمِيَن، يُحِبُّكُمُ اللهُ»[(٣)].

ومعنى آمين: أي اللهم استجب.

قال عطاء[(٤)]: «آمين دعاء» أمَّن ابن الزُّبير ومَنْ وراءه حتى إن للمسجد لَلَجَّة - أي: صوتًا مرتفعًا.

(١) رواه البخاري: [٧٨٢]، باب: (جهر الإمام بالتأمين).
(٢) رواه مسلم، باب: (التشهد في الصلاة).
(٣) رواه أبو داود في «سننه» [٩٧٥]، باب: (التشهد)، وصححه الألباني.
(٤) رواه البخاري، باب: (جهر الإمام بالتأمين).

وكان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينادي الإمام: «لا تَفُتْني بآمين» أي: لا تدعني يفوتني قولها؛ وهذا من شدة حرصه عليها.

حتى الملائكة في السماء تُؤمِّن على الفاتحة:

ذلك أن الملائكة في السماء يحرصون على التأمين على قراءة الفاتحة خلف الإمام.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[(١)].

٨- الفاتحة شفاء ودواء:

فإن مع ما في الفاتحة من شفاء للصدور؛ فإنها أيضًا شفاءٌ للأبدان، وأنها بلغ من أثرها أن اللديغ - الذي لدغته العقرب أو الحية أو غير ذلك - إذا رُقِيَ بها؛ فإنه يبرأُ بإذن الله سبحانه وتعالى.

(١) رواه البخاري: [٧٨١]، باب: (جهر الإمام بالتأمين).

ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما لُدِغَ رجلٌ، فرقاه أحدهم بالفاتحة، فبرأ.

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا في مسيرٍ لنا، فنزلنا، فجائت جارية فقالت: إن سيد الحيِّ سليم - أي: لديغ لدغته عقرب أو نحوها -، وإن نفرنا غَيْب[١]، فهل منكم من راقٍ؟، فقام معها رجلٌ ما كُنَّا نَأْبُنُهُ[٢] برقية، فرقاهُ، فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبنًا، فلما رجع قلنا له: أكنت تُحسن رقية، أوكنت ترقي؟، قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب[٣] - الفاتحة، قلنا: لا تحدثوا شيئًا حتى نأتي - أو نسأل - النبي ﷺ، فلما قدمنا المدينة ذكرناهُ للنبي ﷺ، فقال: «وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ»[٤]، وفي رواية أخرى للبخاري قال ﷺ: «قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا...»، وفي رواية أخرى

(١) نفرنا غيب: أي رجالنا غائبون.

(٢) نَأْبُنُهُ: أي نعلمه أنه يرقي.

(٣) وفي رواية للبخاري: «فانطلق يتفل ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبة - أي: علة -.

(٤) رواه البخاري: [٥٠٠٧]، باب: (فضل فاتحة الكتاب).

قال ﷺ: «مِنْ أَيْنَ عَلِمْتُمْ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ أَحْسَنْتُمْ وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ»[(١)].

(١) رواه أبو داود في «سننه»: [٣٩٠٠]، باب: (كيف الرقى؟)، وصححه الألباني.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: تيجان السور[1].

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «بِسْمِ اللَّهِ: خَيْرُ الْأَسْمَاءِ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ، لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ دَاءٌ».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: هي أول آية من سورة الفاتحة.

بِسْمِ: الباء في بِسْمِ ٱللَّهِ هما جار ومجرور، ويدلان على محذوف متأخر، ومعناه: فإذا أردت أن تأكل وقلت بِسْمِ ٱللَّهِ أي: بسم الله آكل، إذ أن الله هو خالِق الطعام ورازقه.

ومثله إذا أردت أن تشرب فقلت: بِسْمِ ٱللَّهِ أي: بسم الله أشرب، فهو مَنْ أنزل الماء من السماء.

---

(١) عن جعفر الصادق «تفسير القرطبي»: (١/ ٩٢).

وإذا أردت أن تذبح وقلت: بِسْمِ اللَّهِ أي: بسم الله أذبح، فهو الذي خلق الأنعام وأحلَّها، ولا تحل إلا بذكر اسمه عليها.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام:١٢١].

وقال النبي ﷺ: «وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ، فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللهِ»(١)، وفي رواية البخاري أيضًا: «فَلْيَذْبَحْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ»(٢).

أما هاهنا فالتسمية في أول القراءة من كل سورة:

فهي للاستعانة بالله سبحانه، وطلب التوفيق منه، والتبرُّك بذكر اسمه سبحانه؛ لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ

(١) رواه البخاري: [٧٤٠٠]، باب: (السؤال باسم الله تعالى)، والحديث ذكره النبي ﷺ يوم النحر عن الأضحية.
عن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَلْيَذْبَحْ أُخْرَى مَكَانَهَا، وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ، فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللهِ».

(٢) والذبح على غير اسم الله سبحانه إنما هو من سنن المشركين، وقد كان زيد بن عمر بن نُفيل من الأحناف الموحدين في الجاهلية، فكان يقول للمشركين: «إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذُكِر اسم الله عليه»، وكان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: «الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟!!» إنكارًا لذلك، وإعظامًا له. [رواه البخاري (٣٨٢٦)].

﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨]، فإذا قرأت وقلت: بِسْمِ اللَّهِ أي: بِسْمِ اللَّهِ أقرأ، وبِسْمِ اللَّهِ أفهم، وبِسْمِ اللَّهِ أتعلم، وبِسْمِ اللَّهِ أعمل...؛ إذ بدون توفيقه – سبحانه – فلا قراءة، ولا فهم، ولا علم، ولا عمل.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أول ما نزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على محمد ﷺ قال له جبريل: «قل: بسم الله يا محمد، يقول: اقرأ بذكر ربك، قم واقعد بذكره»[(١)].

ولذلك كان أول ما أَنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:١-٥].

بِسْمِ اللَّهِ: أي هذا الكلام من عند الله:

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَسَمٌ من ربنا، أنزله عند رأس كل سورة، يُقسِم لعباده إن هذا الذي وضعتُ لكم

(١) قال ابن كثير: هذا الأثر غريب وإنما ذكرناه ليعرف، فإن في إسناده ضعفًا. ينظر تفسير ابن أبي حاتم: (١/ ٢٥)..

يا عبادي في هذه السورة حق، وإني أُوَفي لكم ما ضمنت في هذه السُّورَة من وعدي ولُطفي وَبِرِّي[١]، كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ [البقرة:١].

عن جابر بن زيد قال في قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾:

اسم الله الأعظم هو الله، ألا ترى أنه في جميع القرآن يبدأ قبل كل اسم؟!![٢] فيقال الرحمن الرحيم، الملك القدوس..... من أسماء الله وليس العكس.

و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: يدل على صفة الرحمة له سبحانه، ولهذا جائت على وزن فعلان؛ الذي يدل على السِّعة.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: أي الموصل للرحمة من يشاء من عباده، ولهذا جائت على وزن فعيل الدال على كثرة وقوع الفعل[٣].

(١) «تفسير القرطبي»: (١/ ٩١).
(٢) ابن أبي حاتم: (١/ ٢٥).
(٣) تفسير فضيلة الشيخ ابن عثيمين للفاتحة.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

ذَكَرَ الله سبحانه وتعالى هذين الاسمين الكريمين ليعرّف عباده بنفسه، فهو تخصيص بعد التعميم.

فلم يخصّ بالذكر هنا إلَّا الرحمة بِشقيها وهنا غَلَّب الله رحمته في التعريف بنفسه سبحانه، فإن رحمته دائمًا مُقدمة على غيرها،

كما قال تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

وكما أنه يرحم خلقه فإنه يغضب ممن عصاه، ومع ذلك فإن رحمته بهم مقدمة على غضبه منهم، وعفوه عنهم يسبق عقابه لهم.

قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[(١)].

(١) رواه البخاري: [٧٤٢٢]، باب: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود:٧].

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

خير عباد الله الحمادون

قال ابن عباس: الحمد لله كلمة كل شاكر

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ: خير الدعاء، كلها حبٌّ وثناء، وتملأ الأرض والسماء.

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ: تُرضي الرحمن، وتملأ الميزان، وتغيظ الشيطان.

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ: بها مغفرة الذنب، ورحمة الربِّ، وتفريج الكرب.

لك الحمد يا غفار

لك الحمدُ يا غَفَّار ما هلَّ صيِّبُ

وماتابَ - يامَنْ يقبلُ التوب - مذنبُ

لك الحمد ماحجَّ الحجيجُ وماجرت

دُمُوعٌ، وشعَّ النجمُ أَو لَاحَ كوكبُ

لك الحمدُ حمدًا يملأ الأرضَ والسماءَ

كثيرًا غزيرًا ما يُعَدُّ ويُحْسَبُ

لك الحمدُ ماهاجَ الغرامُ وماهمَى الـ

ـغمامُ وما غنَّى الحمامُ المطربُ

لك الحمدُ ما حلَّ الهناءُ وما سرَى

نسيمُ الصَّبَا أو سَالَ وادٍ وأشعبُ

فلولاكَ ما هاجت شُجُوني ولا رنتْ

عُيوني، ولا خَدِّي بِدمعي مُخضَّبُ

فأنتَ الذي من جُودِ يُمْناكَ عُدَّتي

وزادِي، وفيكَ المدحُ يحلُو ويَعْذُبُ

إليكَ يُساقُ الشُكرُ في كلِ لمحةٍ

ويزدانُ شرقٌ بالثناءِ ومغْرِبُ

فَوَاللَّهِ لو صُغْنا من الدَّمعِ قِصَّةً

تُدَّبَجُ بالحمدِ الجزيلِ وتُكْتَبُ

ولو نُسِجَت أَعْصَابُنا في مَدِيحِكُمْ

وسالَ دمٌ بالحبِّ يهمى ويُسْكَبُ

وسِرنا على أجفانِنَا وَوجُوهِنَا

على وَهَجِ الرَّمْضَاءِ فيك تُقَلَّبُ

وَقد مزقت منا الرمال خدودنا

على النارِ نُشْوَى أوعلى الشَّوْكِ نُسْحَبُ

لَمَا بُلَغَ المُثْنُونَ بعض جلالِكُم

ولا أدْرَكُوا بعض الذي لك يُوجَبُ [١]

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

الحمد في اللغة:

ٱلْحَمْدُ وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم، وللحمد شرطان:

أولا: أن يكون وصفًا بالكمال والجمال والجلال في أسمائه، وذاته، وصفاته، وأفعاله.

ثانيًا: المحبة والتعظيم في قلب الحامد للمحمود.

قال أهل العلم: لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة ولا تعظيم لا يُسمَّى حمدًا، وإنما يُسمَّى مدحًا.

(١) «العظمة» للدكتور/ عائض القرني: ص[٥].

كما يفعل الشعراء في مدح بعض الملوك، وهم يريدون شيئًا من المال، أو خوفًا منهم، فيصفونهم بصفات ضخمة فخمة لكن لا محبة فيهم، ولكن محبة في أموالهم التي يأخذونها منهم، أو خوفًا من عقابهم[(١)].

الحمد كله لله:

قال الأصفهاني: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ودخول الألف واللام في ٱلْحَمْدُ للجنس تنبيهًا على أن الحمد كله في الحقيقة لا يستحقه إلا الله، وأن كل حمدٍ لغيره فهو عارية له (أي: على المجاز)[(٢)].

حمده الناس أم لم يحمدوه فله الحمد:

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ: الحمد: مبتدأ، ولم يُذكر من الذي حَمِد، وهذا يعني أن لله الحمد من خلقه في السماوات والأرض، وله الحمد قبل

(١) «تفسير الفاتحة» للشيخ ابن العثيمين: (١/ ١٠).
(٢) «تفسير الأصفهاني»: (١/ ٥٢).

وجود الخلق، وبعد فنائهم، ولهُ الحمد حَمِدَهُ الناس أم لم يحمدوه، فلهُ الحمد على كل الوجوه.

والمُحَمَّدُ: هو الذي كَثُرت خصالهُ المحمودة، وهذا معنى اسم رسول الله ﷺ.

والله سبحانهُ يستحق أفضل مما يثني عليهِ الناس بهِ.

كما قال الشاعر:

إذا نحنُ أثْنينا علَيكَ بصالحٍ
فأنْتَ كما نُثني وفوْقَ الذي نُثْني

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

قال ابن القيم في النونية[1]:

وهو الحميد فكل حمد واقــع
أو كان مفروضًا مدى الأزمان

(١) «النونية»: (٢/ ٢١٥).

ملأ الوجود جميعه ونظيره
من غير ما عدٍّ ولا حسبان

هو أهله سبحانه وبحمده
كل المحامد وصف ذي الإحسان

الحمد لله من خلقه

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

✍ ترنَّم الرعد بحمدِهِ وتسبيحه، لمع البرق بتمجيده، وشدا الطير بِذِكرِهِ، وهدلَ الحمام بشكرِهِ.

✍ سجد له النجم والشجر، وسبَّحهُ الحوت في البحر، وحمده الطير في الوكر، وأضاء بنوره الشمس والقمر.

✍ لو كانت الأشجار أقلامًا، والبحار مِدادًا، والخلائق يُمْلُونَ الثناء، ويكتبون المديح؛ لكانوا فيما يستحقه سبحانه مُقَصِّرين، وفيما يجب له منقطعين.

✍ ترنيمات التسبيح بحمده تيجان على رؤوس المسبحين، وزجل التهليل أوسمة خلود على جِباه الموحدين.

✍ حمد نفسه قبل أن يحمده الحامدون، وأثنى على جلاله قبل أن يُثني عليه المثنون، ووصف عظمته قبل أن يصفهُ الواصفون.

✍ أثنى على نفسه، فإذا مدح الشعراء في غيره زيف، ومدح ذاته، فإذا مقامات الإطراء في سواه هِراء.

✍ صفات المدح في الكاملين ذرة من كماله، نعوت الفضل في الأبرار نفحة من أفضاله، ألسنة المادحين وأقلام الواصفين حائرة في جلاله.

إن قدَّسته أو سبحته أو مجدته، فهو الذي علَّمك.

إن حمدته أو كبرته أو وحدته، فهو الذي ألهمك.

إن عبدته أو شكرته أو ذكرته، فهو الذي أكرمك.

يا رب لا نحصي ثناءً عليك

حتى رسول الله لا يستطيع أن يجد من الحمد والثناء على الله ما يُوفي به حقه من الجمال والكمال والجلال.

قال رسول الله ﷺ لربه: «لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[(١)].

وكما قال القائل:

وعلى تَفَنُّنِ واصِفيهِ بِحُسْنِهِ
يَفْنى الزّمانُ، وفيهِ ما لم يُوصَفِ

خير العباد الحامدون:

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الحمد لله كلمة كل شاكر»[(٢)].

(١) «رواه مسلم»: (٧٥١) باب ما يقال في الركوع والسجود.
(٢) تفسير القرطبي في تفسير سورة الفاتحة: ١/ ١٣٤.

الحمَّادون:

قال عمران بن الحصين: اعلم أن خير عباد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يوم القيامة الحمَّادون[١].

وبكى إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ عند موته، وقال: «إِنَّمَا جَزَعِي كَيْف يَحْمَدُك الْحَامِدُونَ بَعْدِي وَلَا أَحْمَدك! وَيَذْكُرُك الذَّاكِرُونَ بَعْدِي وَلَا أَذْكُرُك»[٢].

الحمد صفة النبي ﷺ وأُمَّته:

عن كعب الأحبار، قال: «إِنِّي لَأَجِدُهُ فِي التَّوْرَاة مَكْتُوبًا مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ لَا فَظٌّ، وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا صَخَّابٌ بِالْأَسْوَاقِ وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَأُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ يَحْمِدُونَ الله عَزَّوَجَلَّ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ، وَيَحْمَدُونَهُ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ، وَيَتَأَزَّرُونَ عَلَى أَنْصَافِهِمْ، وَيَتَوَضَّئُونَ

(١) [أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٣٤) وهو صحيح، انظر: (النهج الأسمى) للشيخ محمد الحمود النجدي (٢/ ٦٠)].

(٢) «تفسير القرطبي»: (١٥/ ١١٥-١١٦)، «تفسير سورة الصافات».

عَلَى أَطْرَافِهِمْ، مُنَادِيهِمْ يُنَادِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ، صَفُّهُمْ فِي الْقِتَالِ وَصَفُّهُمْ فِي الصَّلَاةِ سَوَاءٌ، لَهُمْ بِاللَّيْلِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، وَمَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجِرُهُ بِطَابَةَ وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ»[(١)].

وقال ابن جزي: «وأُمَّتُه الحمَّادون»، وبيان ذلك أن أُمته يقرأون ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في صلاتهم مِرارًا كثيرة في كل يوم وليلة[(٢)].

أول كلمة قالها البشر: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

كانت الحمد لله هي تلك الكلمة الطيبة التي خرجت من الفطرة السليمة عند خلقها، وهتفت بها الألسنة الطاهرة في مهدها.

(١) أثر صحيح، إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين سوى عبد الله بن ضمرة - هو ثقة - وأبو حمزة محمد ابن ميمون السكري، وهو في «شرح السنة»: [٣٥٢٢] بهذا الإسناد، وأخرجه الدارمي: (١/ ٤)، وابن سعد في «الطبقات»: (١/ ٣٦٠)، وهذا الأثر مأخوذ من نسخة من التوراة، لكن لم يقع فيه تحريف أو تبديل، وانظر «تفسير البغوي»: (٢/ ٢٩٣) ط. إحياء التراث.

(٢) تفسير ابن جزي: «التسهيل لعلوم التنزيل»: (١/ ٣٠٦)، «تفسير سورة الأعراف» الآية [١٥٧].

قال النبي ﷺ: «لَمَّا نُفِخَ فِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَلَغَ الرُّوحُ رَأْسَهُ، عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ»[1].

الأنبياء يحمدون ربهم

نَجَّا الله نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ في السفينة، وقال له: ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون:٢٨].

وأَعْطَى إبراهيم الذُّرية على الكِبَر، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [إبراهيم:٣٩].

وأعطى داود وسليمان علمًا وحِكمةً ومُلكًا، فقالا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل:١٥].

وأعطى نبيه ﷺ المقام المحمود واصطفاهُ على ما سواه، وقال له: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩].

---

(١) رواه ابن حبان: [٦١٦٥] في «صحيح ابن حبان»، وصححه الألباني في «الصحيحة»: [٢١٥٩]، وقال شُعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

«الحمد لله تملأ الميزان»

قال النبي ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»[(١)].

«الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»: قال السيوطي: «معناه عِظم أجرها، وأنها تملأ الميزان عِظَمًا وأجرًا».

وقال: «سُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» معناه: لو قُدِّر ثوابهما جسمًا لملأ ما بين السماوات والأرض[(٢)].

وقيل: ما بين السماوات والأرض شيئان:

- إمَّا آية، فإذا رأيتها قلت: «سُبْحَانَ الله».
- وإمَّا نعمة، فإذا رأيتها قلت: «الْحَمْدُ لله».

---

(١) رواه مسلم: [٢٢٣]، باب: (فضل الوضوء).
(٢) «شرح السيوطي على صحيح مسلم»: (١٢/ ٢).

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ آخر دعاء أهل الجنة:

ولم يجد أهل الجنة بعد فرحهم بربهم، وأُنسهم بخالِقهم، ومجاورتهم له في الجنة إلا أن يقولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

قال تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠].

رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

طعم الإيمان:

قال ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الإيمَانِ مَنْ رَضِيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّدٍ رَسُولًا»[1].

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

المعنى اللغوي:

الرب: في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حدِ التمام.

ولا يُقال: الرب مطلقًا إلا لله تعالى إذ هو المتكفل بمصلحة

(١) رواه أحمد (١/ ٢٠٨)، ومسلم (١/ ٦٢) حديث رقم (٣٤).

الموجودات، نحو قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم:٦٥][(١)].

ٱلْعَٰلَمِينَ

قال الأصفهاني: العالمين مفردها: عالم، وكل نوع من الخلق قد يُسمَّى عَالَمًا، فيُقال: عالم الإنسان، وعالم الماء، وعالم النار[(٢)].

قال القرطبي في تفسيره[(٣)].

قال قتادة: العَالَمون جمع: عَالَم، وهو كل موجود سوى الله تعالى، وهو شامل كل مخلوق وموجود، ودليله قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مريم:٦٥].

ثم هو مأخوذ من العِلْمِ والعلامة؛ لأنه يُعْلِم ويدل على خالِقه ومُوجِده.

---

(١) «مفردات الأصفهاني»: [٣٣٦].
(٢) «المفردات»: [٥٨٢].
(٣) «تفسير القرطبي»: (١/ ١٣٩).

قال الزجاج: العالم كل ما خلقه الله في الدنيا والآخرة.

قال الخليل: العِلمُ والعَلَامةُ والمَعْلَمُ: ما دلَّ على الشيء، فالعَالَم دالٌ على أن له خالقًا ومُدبرًا.

الأنبياء يعرِّفون الرَّب سبحانه وتعالى:

- موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعرِّف الربَّ تعريفًا جامعًا بأنه الذي أعطى كل شيءٍ لخلقه في الظاهر والباطن، فهو الذي ربى أبدانهم وهدى نفوسهم: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

- إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يُفَصِّل وصف الربِّ تفصيلًا بديعًا، فيقول: «هو الذي بيده الخلق والهداية، والإطعام والسِّقاية، ومغفرة الخطايا،والدواء والشفاء، والإماتة والإحياء».

فقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مُعرِّفًا لربه ومحبًا له ومُعاديًا لما عُبِدَ من دونه:

﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ

يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء:٧٧-٨٢].

الكون كتابٌ والكائنات حروف

قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣].

قدرته سبحانه:

أول كلمة إلى المعصوم: ﴿ٱقْرَأْ﴾، والكون كتاب، والكائنات حروف، والقدرة أقلام، والقارئ أُميٌّ، وعنوان الدرس ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦].

اقرأ القدرة في الشمس الساطعة، والنجوم اللامعة تجدها في الخمائل والجداول والسنابل، في الساقية والغدير، في الماء النمير، في الضياء و في الظلماء، في الورقة واليرقة.

✍ الطيور الصادحة، الأنهار السارحة، الماء والهواء، والسناء تدعوك للعبودية.

✍ القمر بهالته وطلعته الرضِّية في هيبته وصمته، في سكون مشيه وارتفاع محله وسمو مكانه وجمال منظره، آية لكل ذي عقل على حسن خَلْقِ أحسن الخالقين.

✍ الجبال رافعة رؤوسها، مثبتة أقدامها، ساكتة في عظمة، مرتفعة في عنفوان، جاثمة في قوة آية على تفرده ووحدانيته.

✍ انظر إلى الشمس كيف أبدع سناها، وسَيَّرها إلى منتهاها، وبلغها مداها، وزين القمر وحسَّن طلعته، وبثَّ نوره وحسَّن زينته، وبثَّ النجوم ما بين منظوم ومنثور، وراعى لك الجمال لنظرة عينك وإحساس نفسك، فجعل النجوم كالفضة المنثورة على ثوبٍ أسود، ثم قال لك:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر:١٦].

الرب هو: الخالق

١- خلق الخلق جميعًا

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر:٦٢].

٢- خلقهم من عدم.

قال تعالى لنبيه زكريا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم:٩].

٣- خلق بإحسان وإتقان.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ [السجدة:٧]، وقال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

وقال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ [الملك:٣].

إحسان الخلق يدل على جمال الخالق سبحانه:

إحسانه في الخلق يدل على جماله، وعظمة الكون تدل على جلاله، وكثرة الرزق تدل على غِناه.

وكيف يصح في الأذهان شيءٌ

إذا احتاج النهار إلى دليل؟!!

٤- خلقهم في إبداع على غير مثال سابق:

فلم تكن قبل السماء سماء ليُحاكي رفعها، ولم يكن قبل الأرض أرض ليقلد بسطها، ولم يكن قبل الجبال جبال ليوازي نصبها، ولم يكن قبل البحار بحار ليجريها مثلها، ولم يكن قبل الأشجار أشجار لينبت مثل ثمرها،

قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام:١٠١].

٥- خلق بسهولة ويُسر:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢].

٦- لم يتعب في خلقه.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴾ [ق:٣٨].

٧- خلق في إعجاز وتحدٍّ.

قال تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان:١١].

وقد خاطب المصورين الذين يصورون ويُشَكِّلون صورًا لمخلوقات الله بقوله عَزَّوَجَلَّ: «ومَن أظلم ممَّن ذهب يَخلق كخَلْقي، فلْيَخْلُقُوا حبةً، ولْيخلُقُوا ذرةً، أو لِيَخْلُقُوا شعيرةً»[(١)].

ثم تحدَّاهم الله سبحانه بشيء من أصغر مخلوقاته في نظرهم، وأقلِّهم شأنًا في حياتهم وهو «الذباب»، فلن يخلقه أحدٌ من المعبودات المعظمات في نفوسهم، ولا يستطيعون.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج:٧٣].

(١) رواه البخاري: [٧٥٥٩]، باب: قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦].

٨- أفمن يخلق كمن لا يخلق؟!!

فإن كانت الآلهة المعبودة في القديم كاللاة، والعُزَّى، ومَناة عند مُشركي العرب، أو فينوس، وأتلانتك، وأُوليمبك، وكيوبيد عند اليونان، أو بوذا لدى عباد بوذا في الصين والهند واليابان وغيرها من بلاد آسيا، أو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لدى من يعبدونه من مُشركي النصارى وغيرهم، لم يخلق أحدٌ منهم شيئًا ولو مثقال ذرة، بل هم مخلوقون، ولا يملك أحد منهم لنفسه، ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا؛ لأنهم ضعفاء فقراء مخلوقون بل ميتون.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [النحل: ٢٠-٢١].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴾ [الفرقان: ٣].

٩-خلق لغير حاجة، لِمَا يَخلق؟!!

فكل من يخلق شيئًا يصنعه يحتاج إليه.

أما الله (سبحانه) فلم يخلق شيئًا لحاجة إليه، أو رغبة لمعونة منه.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

ثم هدى..

- فإن الرب سبحانه لم يخلق الخلق سدًى، ولذلك أرشدهم سُبل الهدى؛
- فيسَّر كل مخلوق لما خُلقَ له، وأَهَّلَهُ لأداء المراد منه؛
- فجعل للطائر جناحين يطير بهما في الهواء،
- وجعل للسمك زعانف يسبح بها في الماء،
- وجعل للدواب قوائم تجري بها في البيداء،
- وجعل للنجوم أفلاكًا تسرح بها في الفضاء،
- وجعل من الشمس سِرَاجًا للحرارة والضِّياء.

قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى:١-٣].

هو الذي دلَّ الحمامةَ أن تبني عشَّها، والحُمَّرةَ أن تُشَيِّد وكرها، والعنكبوتَ أن تنسج بيتها، والنملة أن تُهَيء مسكنها، والضبَّ أن يحفر جُحرهُ، والوحش أن يُعَمِّر كناسه، والأسد أن يبني عرينه.

مَنْ عَلَّمْ الْنَمْـلَة أَنْ
تُشَيِّد جُحْرًا يِفِ الْتُرَابْ؟!!

مَنْ عَلَّمْ الْنَّحْلَةْ أَنْ
تَنْسِجَ بَيْتًا مِنْ لُعَابْ

مَنْ عَلَّمْ الْعُصْفُورُ أَنْ
يَنْظُمُ عِشًّا يِفِ الْهِضَابْ

ذَاكَ هُـوَ اللهُ الْذِي أَبْدَعَ
يِفِ الْخَلْقِ العجاب

الرب هو الرزاق:

١- رزق الخلق جميعًا:

- الدودة في الطين يرزقها ربُّ العالمين.

- الحوت في الماء يغذيه ربُّ الأرض والسماء.

- والحشرة على الأوراق يُطعِمُها الرزَّاق.

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [العنكبوت:٦٠].

٢- خزائن كل شيء بيده:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون:٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الحجر:٢١].

٣- كريم في عطائه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [النور:٣٧].

وقال النبي ﷺ: «يَدُ اللَّهِ مَلْأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ»[(١)].

٤- حتى من كفر به يرزقه ويعافيه:

قال النبي ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ»[(٢)].

يعطي خلقه ويرزقهم ولا يأخذ منهم:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون:٨٨].

وقال تعالى في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري: [٧٤١٩]، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾.
(٢) رواه مسلم: [٢٨٠٤]، باب: «لا أحد أصبر على أذىً من الله عز وجل».
(٣) رواه مسلم: [٢٥٧٧]، باب: (تحريم الظلم).

الله غنيٌّ عن خلقه، وهم فقراء إليه:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كما لا يكون الربُّ إلا ربًا،لا يكون العبدُ إلا عبدًا،وكما لا يكون الربُّ إلا غنيًا،لا يكون العبدُ إلا فقيرًا»[(١)].

ماغرك بربك الكريم:

لقد خلقك الله ورزقك، وأحياك وحباك، وإذا مرضت شفاك، وعلمك ما لم تكن تعلم، وعرَّفَك ما كنت تجهل وأَنَامَكَ وَأَيْقَظَكَ، وَحَسَّنَ خلقك، وَهَيَّأَ رِزْقَكَ، وسخر لك الشمس والقمر، وحملك في البر والبحر، وأعطاك ما لم يعطك أحد أو يدعي -ولو كذبًا- أنه قد أعطاك شيئًا منه، ثم أرسل لك رسولًا وأنزل لك كتابًا ويَسَّرَ لك منهاجًا ليدلك عليه سبحانه.....

وبعد ذلك تقول: أين الله؟!!

(١) «طريق الهجرتين وباب السعادتين»: (١/ ٩).

بل أين أنت يا مسكين!!

أوجدك من عدم ثم شككت في وجوده.

وأعطاك بلا حق لك عنده ثم أنكرت حقوقه.

وحباك بلا معروف لك لديه، ثم جحدت معروفه.

وقد كساك بنعمه من مشاش رأسك إلى أخمص قدميك وقد غمرك إحسانه وجميل عطائه.

فهل شكرت؟!

هل آمنت؟!

هل أطعت؟!

هل عبدت؟!

ثم قال لك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار].

كان ابن عباس إذا سمع هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ يبكي ويقول: غرني بك جهلي يا رب.

أُمم لا تعرف ربها

فقد أغوى الشيطان أُممًا حتى نسوا ربهم، وأضلَّ عقولًا حتى جحدوا خالقهم وهذه أمثلة لهم.

لقد اتخذ قدماء المصريين عدة أرباب، فهذا رب للشمس،وذاك رب للخصب والزرع و.....

فقال لهم يوسف -عليه السلام:

﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩].

قارون لا يعرف من يرزقه واتخذ المال رَبًّا

فجحد رازقه قائلًا: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨].

فرد الله عليه فقال:

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

النهاية....قال تعالى:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١] فابتلعه التراب هو وكنوزه لأبد الآبدين.

الهندوس يعبدون البقر من أجل ألبانها

يقول راچيف غاندي حفيد الزعيم الهندي المعروف غاندي: «أمي البقرة أحبُ إليَّ من أمي التي ولدتني؛ لأن البقرة تُعطيني اللبن ولا تطلب مني شيئًا، ولكن أمي إذا أرضعتني طلبت مني أشياءً».

والسؤال: من الذي ولدته منهما؟ البقرة أم أمه؟!!

ومن الذي خلقه وهو في بطن أمه؟ أكان للبقرةِ في ذلك دخل؟!! أو كان لها في النعم التي تغمره فضل؟!

وهل البقرة صنعت هذا اللبن؟ أم هو مصنوع بداخلها؟

وهل هي خلقته؟ أم هو مخلوقٌ مثلها؟

بل الفضل و الخلق كله لله

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [يس:٧١-٧٥].

الشيوعية الخاسرة:

إنها الشيوعية الخاسرة أرض بلا سماء ويوم بلا غد وعمل بلا خاتمة وسعي بلا نتيجة ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة:١٦١] الزيات في مجلة الرسالة.

الشيوعيون الذين كانوا يقولون: نكفر بثلاثة، و نؤمن بثلاثة:

✍ نكفر بالله والدين والملكية الخاصة.

✍ ونؤمن بلينين وستالين والاشتراكية (الملكية العامة).

أما لينين

الذي قال سوف أسلط الجوع على المسلمين حتى أنهم لن ينسوا فقط دينهم بل سينسوا حتى ربهم..

النهاية.. سُلط عليه الجنون والهذيان حتى كانوا يوثقونه في كرسيه المتحرك؛ لأنه كان يتبرز ويأكل برازه!!

وأما ستالين

فقد عذب وقتل ملايين من المسلمين، وقتل كل من يدعو إلى التوحيد وعذب وأهان كل من قال: إن للكون خالقًا.

النهاية... سُلِّط عليه مَنْ وضع له السم في الطعام وظل أيامًا يتألم ويطلب الموت ولا يجده!!

ثم قال من قتلوه: ها هوالآن يموت كما تموت الكلاب الضالة في الطرقات!!

أما عن الملحدين ونظرياتهم

فها هو داروين:

صاحب نظرية النشأة والتطور، النظرية التي أنكر فيها الخالق والذي قال إن الكون جاء صُدفة وأن الطبيعةهي التي تفرز الخلق، ومالحياة إلا أرحام تدفع وقبور تبلع،وأن الإنسان أصله قردٌ ولكنه تطور حتى أصبح إنساناً.

كان يسمع ويبصر، لكنه كفر بالسميع البصير الذي أعطاه السمع والبصر والعقل والتفكير،

وفكر في كل شيءٍ إلا ربه وأثبت كل مخلوق وأنكر خالقه

النهاية..بعد نظريته هذه بعدة أشهر فقط سُلِطت عليه حشرة تسمى الباناتوشكا تبولت على جسده فأصابته الهلوسة والغثيان

بل والكآبة لعشرات السنين حتى قتلته.... ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾.

قال بعض الباحثين في مأساة داروين وموته: مؤسف أن الذي حنَّط الحيوانات واحتفظ بها إلى يومنا هذا لم يوجد منه عضوٌ محفوظ ليعرفوا كيف موته!!

إذ إن الرجل الذي حكم على الخلق بنشأتهم لم يعرف كيف نشأ مرضُه!!

والذي جزم بنظرية التطور لم يدري كيف تطورت حياته حتى أصبحت جحيمًا لا يستطيع فيه النوم ولا الأكل ولا حتى النظر إلى الطبيعة التي كفر بخالقها، ولم يستطع استخدام دواء نبت في أرض بسطها الله ودحاها،

وتراهم في غاية الجرأة وهم يقولون: منذ خمسين مليون سنة كان للكون صفات كذا وكذا، ومنذ عشرين مليون من السنين كانت نشأة النبات أو الحيوان وحتى الإنسان بطريقة كذا...

فهذا المشهد لم يشهدوه وهذا الموقف لم يحضروه ويجعلون أعينهم ترى مالم تر،

وقد رد الله عليهم بكلمة واحدة تبطل مزاعمهم كلها فقال تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [الكهف: ٥١].

ولقد أسلم عمرو بن الجموح رضي الله عنه عندما رأى الصنم الذي كان يعبده يتبول عليه الثعلب، فقال: لو كان إلهًا ما فُعل به هكذا!!!

وقال:

أربٌّ يبول الثعلبان برأسه؟؟

ذُلَّ من بالت عليه الثعالبُ

فهل يسلم من يعلم عجز داروين وفشله وجنونه؟

الذي حاجَ إبراهيم في ربِّه:

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الذي حاجَ إبراهيم في ربِّه هو ملِك بابل: نمروذ بن كنعان»[(١)].

قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾،

قال النمروذ: ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨].

وذلك أنه أُتِيَ بالرَّجُلين قد استحقا القتل، فأمر بقتل أحدهما فيُقْتل، وبالعفو عن الآخر فلا يُقتل»[(٢)].

قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

النهاية.. سلَّط الله عليه بعوضة من مزابل مملكته، فدخلت إلى منخره، حتى وصلت إلى مُخِّهِ؛ فقتلته شرَّ قتلة.

---

(١) «تفسير ابن كثير»: (١/ ٦٨٦).

(٢) نفسه.

وما أهون الخلق على الله إن هم عصوه !!!

أ ما عن الملحد الأكبر في عالم البشر فقد قال:

﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣].

هكذا سأل فرعونُ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قال موسى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء:٢٣].

لقد سمع فرعون لتوِّه كلمة لم يتوقعها، وثقُلت عليه معانيها فلم يطقها، فاحتاج لمن يواسيه في صدمته، ويُعينه في محنته، فاستعان بملأه ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:٢٤].

وقبل أن ينطق أحدهم بكلمة سارع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بإطلاق سهام الحق على الجميع، وصبَ طوفان التوحيد فوق رؤوسهم: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:٢٦].

فانتقل فرعون من اتهام القضية وإنكارها إلى اتهام صاحبها وحامل لوائها.

قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الشعراء:٢٧].

فردَّ موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الحجر إلى راميه، والسهم إلى باريه وهو يرشدهم إلى وظائف العقول السليمة، والفِطَر المستقيمة في الاهتداء لخالقها، فإن كان هناك عقل فليكن زادكم إلى معرفة ربكم:

﴿قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨].

الآن.. هناك فريقان يختصمان، موسى ومعه ربُّه سبحانه يوجهه وينصره هو والذين آمنوا معه.

وفرعون ومعه قوة تُطغيه، وملأ يمالؤه ويُلهيه، وجنود وأسلحة تَغُرُّه وتعميه، وكما عمى عن الحق في الأولى، عمى عن هلاكه في الآخرة.

النهاية.. سُلط على نفسه فذهب إلى عذابه، واقتحم نهايته برجله ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات:٢٣-٢٦].

ثم جعله الله عبرة لمن خلفه ومثلا لكل الفراعين من بعده فقال سبحانه لفرعون يوم هلاكه:

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس:٩٢].

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله لخلقه:

﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف:١٥٦]

المعنى في اللغة العربية:

الرحمة: هي الرِّقة والتعطُّف، والاسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، و(الرحمن) أشد مبالغة من (الرحيم)؛ لأن بناء «فعلان» أشد مبالغة من «فعيل».

ومناسبة مجيء هذه الآية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بعد كلمة ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ كأن سائل يسأل: ما نوع هذه الربوبية؟ هل هي ربوبية

أخذ وانتقام؟ أم ربوبية رحمة وإنعام؟! فكانت الآية مُعَرِّفة لـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1].

وهكذا يحب اللهُ أن يُعْرَف دائمًا.

قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر:٤٩].

حاجة الخلق إلى الرحمة

فإن الخلق يحتاجون الرحمة بعدد أنفاسهم، وهم أحوج إليها من أي شيءٍ آخر؛ فإنهم ضعفاء يحتاجون لمن يرحم ضعفهم ويقويهم، وإنهم فقراء يبحثون عمن يعطيهم ويغنيهم، وإنهم خطاؤون يحتاجون لمن يغفر لهم ويعافيهم، وإنهم جهلاء يحتاجون لمن يعلمهم ويزكيهم؛ ولذلك فإنهم يحتاجون رحمة تسع ضعفهم وفقرهم وجهلهم وذنوبهم، وليس ذلك إلا لله سبحانه؛ فإن رحمته قريبة،ومغفرته واسعة، وعطاؤه جزيل، ورزقه كثير.

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦].

(١) «تفسير الشيخ العثيمين رحمه الله»: (١١/ ١)، «تفسير الفاتحة».

الله أرحم من الأم بولدها:

مَنْ الذي تفضل عليك فخلقك؟ ومَّنْ الذي أكرمك ورزقك؟

أهي أمك أَم ٱللهُ؟

وهل تستطيع أمك أن تعطيك ولدًا إن كنت عقيمًا أو تشفيك إن كنت سقيمًا؟

هل تستطيع أن تغفر لك ذنبًا أو تفرج عنك كربًا؟

إن الذي يصنع ذلك كله وأكثر منه هو الله وحده سبحانه.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ.

فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ.

فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا» [رواه البخاري ومسلم].

قال حماد بن سلمة: لا يسرني يوم القيامة أن أمري يصير بيدي والديَ، إن الله أرحم بي من والديَ.

رحمة الله لا تعز على طالب:

رحمة الله يجدها من يطلبها في أي مكان أو زمان:

- وجدها إبراهيم في النار.
- ووجدها يوسف في غيابة الجب وفي غياهب السجن.
- ووجدها موسى في قصر فرعون.
- ووجدها أصحاب الكهف في كهفهم حين افتقدوها بين أقوامهم.
- ووجدها رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار فأنقذهما الله من الكفار.

قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

رحمة الله بين خلقه

ترى الدبة في القطب الشمالي المتجمد في فصل الشتاء وقد كسى الجليد كل شيء ولا تجد شيئًا تأكله فتجلس مع صغارها يرضعون منها لمدة أربعة أشهر وهي بلا طعام ولاشراب حتى يذوب شحمها ويخف لحمها رحمة بالصغار.

وهناك في أعماق البحار ترى أنثى الأخطبوط اذا حملت بيضها لا تأكل ولا تستطيع الصيد ثم تسبح في الأعماق باحثة عن موضع آمن لوضع بيضها ثم تجلس بجواره لحمايتهم من المفترسين حتى يفقس عن أجنتها ويستمر ذلك ستة أشهر وربما فقدت حياتها من أجل أبنائها.

ولقد رأيت في أحد الوثائقيات أن الأسود هاجمت قطيعا من

الحمير فاختطفوا صغيرًا من أمه فلما رأت الأم أن ولدها سوف يقتل ويؤكل جائت الى الأسود وأسلمت نفسها إليهم فداءً لولدها فأخذوها وتركوه.

قال النبي ﷺ: « إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » [رواه مسلم].

تودده عز وجل إلى عباده:

- يتنزل في الثلث الأخير من الليل ينادي عباده: « هل من تائبٍ فأتوب عليه؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟ هل من سائلٍ فأُعطيه؟ ».
- ربٌ يستحيي من خلقه، وإله يستحيي من عبيده إذا رفعوا إليه أيديهم أن يردهم دون إجابة!!
- يحب آثار طاعتك، فيحب دمعة عينك من أجله، وقطرة دمك في سبيله، وآثار أقدامك لأداء فرائضه.

✍ يحب الطائعين قبل أن يحبوه، ويذكرهم إذا ذكروه، ويزيدهم إن شكروه.

✍ إن تقربوا منه شبرًا تقرب إليهم ذراعًا، وإن أتوه يمشون أتاهم يهرول سبحانه وجَلَّجَلَالُهُ.

ثم قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لخلقه: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا، اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، فَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[1].

يقبل القليل، ويعطي الجزيل:

✍ فتراه سبحانه قد غفر لرجل قتل مائة بخطوات مشاها بتوبة صادقة.

(١) رواه مسلم: [٢٦٧٥]، باب: (الحثّ على ذكر الله).

- وتراه أدخل رجلًا الجنة؛ لأنه نزع شوكة من طريق الناس.
- وتراه كتب الجنة لامرأة من أجل تمرة شقَّتها بين بنتيها الجائعتين.
- وسمع رجلًا يحمده في الصلاة، فأرسل إليه بضعًا وثلاثين ملكًا ليكتبوها.
- وتراه قد تجاوز عن رجل كان يتجاوز عن المعسرين.
- وأدخل رجل الجنة؛ لأنه كان يتجوَّز[١] في السكة[٢].
- ويحتسب لك الحسنة بعشر إلى سبعمائة ضعف، ثم إلى أضعاف كثيرة.
- يأخذ منك التمرة أو اللقمة فيعطيك جِبِّلا من الأجر.

---

(١) يتجوَّز: أي يتجاوز ويسامح.

(٢) السِّكَّة: أي العملات البالية كان يقبلها من الناس.
والحديث كما رواه مسلم في «صحيحه» عن النبي ﷺ: «أن رجلًا مات، فدخل الجنة، فقيل له: ما كنت تعمل؟ فقال: إني كنت أبايع الناس، فكنت أُنْظِر المعسر، وأتجوَّز في السِّكة - أو في النقد -، فَغُفِرَ له» [١٥٦٠] عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة:٢٤٥].

رحمته بالضعيف من خلقه:

فسبحانه وتعالى من ربٍ رحيم، فلم تمنعه عظمته من رحمة الضعفاء من خلقه، ولم يمنعه كبرياؤه من العناية بالصغير من الحيوانات، بل حتى من الحشرات.

- فتجده غفر لامرأة من البغايا؛ لأنها سقت كلبًا عطشانًا.
- ونهى عن ضرب الدواب وسبِّها وإجاعتها.
- وأدخل امرأة النار في هِرة حبستها، فماتت.
- وتراه عاتب نبيًا من أجل نمل.

قال النبي: «قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ، فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ:

أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ!!»[١].

قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟، قال: «في كل كبد رطبة أجر»[٢].

رحمته «سبحانه» بالعُصاة والمذنبين:

- فتراه يغفر الذنوب مهما عَظُمت.
- ويمهلهم، ويسترهم، ولا يفضحهم حتى يتوبوا.
- ويبدل سيئاتهم حسنات.
- ويحبهم، ويفرح بهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].
- ثم قال لعباده جميعًا يناديهم كي يتوبوا: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ

(١) رواه البخاري: [٣٠١٩].
(٢) رواه البخاري: [٢٣٦٣]، باب: (فضل سقي الماء).

﴿ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

قال الشاعر[١]:

إني ليدعوني الهوى فأُجيب

وإني ليُثنيني التقي فأُنيب

دعوت كريمًا قد وثقت بصنعه

وليس من يدعو الكريم يخيب

فيا من يحب العفو إني مذنب

ولا عفو إلا أن تكون ذنوب

وتراه يرحم من عاداه وعصاه:

فتراه قد شرع لهم في دينه ما يحفظ حقوقهم، ويمنع أذاهم.

(١) البهاء زهير.

وجعل رسول الله ﷺ يدافع عنهم، ويقول: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا[١] أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢].

يمهلهم، ولا يعاجلهم: قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ [الكهف:٥٨].

يدعوهم إلى التوبة برفق الخالق بخلقه، وبرحمة الرب لعبيده:

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قد دعا الله إلى مغفرته مَنْ زعم أن المسيح هو الله، ومَنْ زعم أن المسيح هو ابن الله، ومَنْ زعم أن عُزيرًا ابن الله، ومَنْ زعم أن الله فقير، ومَنْ زعم أن يد الله مغلولة، ومَنْ زعم أن الله ثالث ثلاثة، يقول الله تعالى لهؤلاء: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

---

(١) معاهدًا: أي ذِّميًا من أهل العهد، أي: الأمان والميثاق مع المسلمين.

(٢) رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني.

(٣) (المائدة:٧٤) وقبلها آيتين. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ

ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولًا من هؤلاء، مَنْ قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨]، أرسل الله إليه نبيين كريمين، وقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤].

ثم قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا، فقد جحد كتاب الله عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ ...﴾ [٨:٧٢-٧٤]

(١) تفسير ابن كثير: ٧/ ١٠٨، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

الفرق بين اسمي الله: ٱلرَّحْمَٰنُ وَٱلرَّحِيمُ.

الصفة	ٱلرَّحْمَٰنُ	ٱلرَّحِيمُ
١- في العظمة:	لقد أتى اسم ٱلرَّحْمَٰنُ على وزن فعلان، الذي يدل على العظمة والسِّعة مما يدل على سِعة الرحمة، وجمال وجلال هذه الصفة عند الله سبحانه، ولذلك ذُكِرَ في وصف استوائه على العرش سبحانه قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:١].	لقد أتى اسم ٱلرَّحِيم على وزن فعيل؛ الذي يدل على صيغة المبالغة من اسم الفاعل، مما يدل على كثرة حدوث الرحمة من الله لخلقه وكثرة ما يرحم عباده، ولذلك أكثر ما ذُكِر في ذِكر أفعال رحمته (كالمغفرة،والتوبة..)كقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠].

٢-في التشريف:	اسم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ سبحانه أشرف وأجلّ الأسماء بعد اسم الله سبحانه، ولذلك قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠]، ولا يأتي تابعًا أبدًا في القرآن ولا في السنة لاسم إلا اسم الله سبحانه، ويقدم في الذكر على الرحيم في كل الأدلة.	يأتي تابعًا لاسم الله، و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، ولغيرهما أيضًا كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] ومنها كثير.

٣- التسمية:	ٱلرَّحْمَٰنُ سبحانه خاص الاسم: أي لا يُسمى به غيرُ الله ولو مجازًا، فهو لا يجوز إطلاقه إلَّا على الله.	ٱلرَّحِيم عام الاسم: أي قد يُسمى به بعض الخلق دون (الألف واللام)؛ كقوله تعالى في وصف رسوله ﷺ: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ

يوم يُنادي الله خلقه:

لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ؟

لكن لا مُجيب!!!

المعاني اللغوية:

الملك: هو المتصرف في كل شيءٍ بأمره ونهيه، فعطاؤه بكلمة، ومنعه بكلمة، وخلقه بكلمتن ورزقه بكلمة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس:٨٢-٨٣].

المالك: هو الذي يملك الأشياء، فهي من إنشائه، وعمل يده،

وهو يتصرف فيها بفعله وتصرفه، إضافةً إلى أمره ونهيه، كقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران:٢٦].

وقد وردت قراءتان صحيحتان بكليهما:

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ

مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ

مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ:

الدين: وتأتي على عدة معانٍ، منها:

✍ الشريعة قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

✍ أما هاهنا فتعني الحساب والجزاء على الدِّين.

قال الأصفهاني: أمَّا «الدين» فالجزاء، ومعنى «يوم الدين» أي: يوم جزاء الدين[(١)].

(١) «تفسير الراغب الأصفهاني»: (٥٦/ ١).

وقال الزجاج: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: الدين (الجزاء)، كما قال القائل: «كما تدين تُدان» أي: كما تَعْمَل تُعْطَىٰ وتُجَازَىٰ.

قال الشاعر (لبيد)[1]:

اعْلمْ وأَيْقِن أنَّ مُلْكَكَ زائلٌ

واعْلمْ بأنَّ كما تَدينُ تُدانُ

وقال:

حَصَادُك يَومًا ما زَرَعتَ وإنَّما

يُدَان الفَتَى يومًا بِما هو دائِنُ

والله يملك كل شيءٍ وإنما خصَّ يوم الدين؛ لأنه اليوم الذي يضطر فيه المخلوقون إلى أن يعرفوا أن الأمر كله لله عَزَّوَجَلَّ، ألا تراه يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦]، وقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾

(١) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج: (٤٨/ ١).

[الانفطار:١٩]، وقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان:٢٦]، فهو اليوم الذي لا يملك فيه أحدٌ لنفسه، ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا.

لا مَلِكَ إلا الله:

فالله مالك الملك، ومالك الممالك، ومالك الملوك، وكل ملك أمامه مملوك، وكل غنيٍ أو ذي سلطان أمامه فقير صعلوك.

قال النبي ﷺ: «لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ»[(١)].

فلا يملك أحدٌ إلا من بعد إذنه، ولا يحكم ملك إلا بمشيئته -سبحانه-؛ فهو الذي يُغَيِّر ملوكًا بعد ملوك، وهو الذي يُوَلِّيهم ثم يُجلِيهم، وهو الذي يُحييهم، ثم يُفنيهم، فلا مُلك باقٍ غير مُلكه، ولا سلطان خالد غير سلطانه.

(١) رواه مسلم: [٢١٤٣]، باب: (تحريم التسَمِّي بملك الأملاك)، والحديث بتمامه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ، رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ»، وفي رواية لابن أبي شيبة: «لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ» رواه مسلم: [٢١٤٣].

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران:٢٦].

إليه يُرَد علم الساعة

فهو سبحانه الذي يملك ميعاد الساعة ووقتها وحده،وهو الذي يملك إقامتها وحده.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: « وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ » [رواه البخاري].

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ: حيث لا قصورٌ ولا دورٌ.

أين القصوروالدور؟! أين المباني والمصانع؟!، بل أين الدول والقارات؟!!

ها هي أرض القيامة وقد زالت عنها آثار ساكنيها، واختفت منها معالم مالكيها، أرض غير الأرض، وحال غير الحال.

أرض ليس عليها مملكة لملك، ولا سلطنة لسلطان، ولا قوة لحاكم، ولا محكمة لقاضٍ، ولا قُدرة لوالٍ.

أرض ليس عليها أثرٌ لذي عرش، ولا قصرٍ، ولا تاج، ولا صولجان ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان:٢٦].

قال النبي ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ[(١)] كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ[(٢)]، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ[(٣)]»[(٤)].

(١) عفراء: بيضاء إلى حُمرة.

(٢) كقرصة النقي: كرغيف مصنوع من دقيق خالص. قال القاضي: كأن النار غيرت بياض هذه الأرض إلى الحُمرة.

(٣) ليس فيها معلم لأحد: أي ليس بها علامة سكنى، أو بناء، ولا أثر.

(٤) رواه البخاري: [٦٥٢١]، ومسلم: [٢٧٩٠] «صفة القيامة»، واللفظ له.

لمن الملك اليوم؟!

هذا النداء سينادي اللَّهُ به خلقه جميعًا، يسألهم: أين الملوك؟! أين الجبارون؟! .. لكن لا مُجيب!!!

قال النبي ﷺ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟!»[(١)]، وفي رواية لمسلم: «أَنَا الْمَلِكُ. أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»

لكن ليس هناك أحدٌ ليُجيب!!!

مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ: كلُ الناس أمامه ضعفاء.. فقراء.. أذلاء..

يقف أمامه كل الخلق، فقراء ضعفاء أذلاء، لا يملكون بيوتًا ولا ثيابًا ولا حتى حذاءً،

كلهم يقفون في مشهدٍ واحدٍ كأنهم خرجوا من بطون أمهاتهم لتوهم، كما بدأوا يعودون، أجسادهم عارية، أرجلهم حافية، أبصارهم خاشعة، أعينهم دامعة، قلوبهم واجفة، صدورهم خائفة.

(١) رواه البخاري: [٤٨١٢]، باب: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧].

قال النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» ثم تلا هذه الآية: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[1] [الأنبياء:١٠٤].

وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ مُشَاةً حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»[2].

مَحْشُورُونَ: أي مجموعون يوم القيامة.

حُفَاةً: بغير نِعال ولا أحذية.

عُرَاةً: دون ثياب تستر الأبدان

غُرْلا: جمع أغرل، وهو الذي لم يختن، والمعنى: أنهم يحشرون كما خُلِقوا، لم يُفقد منهم شيء، وليس معهم شيء.

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ: بيده الحساب وتطاير الكتاب.

(١) رواه البخاري: [٤٦٢٥]، باب: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة:١١٧].

(٢) رواه مسلم: [٢٨٦٠]، باب: (فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة).

هو الذي يملك الحساب، والثواب والعقاب، وعطاء الكتاب.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُدْنِي[١] الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ[٢] وَيَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ؛ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ[٣]، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ[٤]: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨]»[٥].

﴿كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾: بنسبة الشرك له والزوجة والولد، وأن الله لا يبعثهم بعد موتهم - سبحانه تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

﴿لَعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾: الطرد من رحمته، والعذاب الدائم في جهنم.

---

(١) يُدني: يقرِّب.

(٢) كنفه: ستره، وحفظه، وعفوه.

(٣) هلك: استحقاق العذاب على ذنوبه.

(٤) الأشهاد: جمع شاهد وشهيد، وهم الرسل والملائكة والمؤمنون من الإنس والجن.

(٥) رواه البخاري: [٢٤٤١]، ومسلم: [٢٧٦٨].

﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ : المشركين والكافرين ومَنْ على شاكلتهم.

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ : سوف تكلمه دون واسطة

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[(١)].

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ : جمع كل شيءٍ وأحصاه.

فهو يملك كل دليل على العُصاة،فينظر العبد ما صنعت يداه، ونظرت عيناه، واستمعت أُذُناه، وكثيرٌ منهم قد نسوه، لكن الله سبحانه قد أحصاه.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة:٦].

(١) رواه البخاري: [٧٥١٢].

كل أعمالك وضعها في كتاب لتقرؤه عند الحساب، ثم يقول لك: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء:١٤].

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ: أعضاءٌ تشهد على أصحابها:

ها هم الناسُ لا يملكون شيئًا من أعضائهم، ولا يتحكمون في شيءٍ من أجسادهم، وهو الذي يملك الأسماع والأبصار، ويعلم الجهر والأسرار، تعنو لعظمته الوجوه، تذل له الجباه، تخرس أمامه الأفواه، تخشع له الأشهاد، وتشهد له الأجساد.

وهذا هو المشهد: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [فصلت:١٩-٢١].

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور:٢٤-٢٥].

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ : شفاعة اليوم كلها له..

هو الذي يملك الشفاعة في العُصاة، ويملك العفْوَ عن الجُناة، وهو الذي يملك الشفاعة وحده، فلا يشفع أحدٌ إلا من بعد إذنه، ولا يتكلم أحدٌ إلا من بعد مشيئته.

قال تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٨٧].

وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

يملك الجنة ونعيمها، ويملك النار وجحيمها:

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للجنة: «أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي»[(١)].

(١) رواه البخاري: [٤٨٥٠] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعُرَاتُهُمْ؟ فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ...» الحديث.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران:١٢٩].

و قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [المائدة:٤٠].

ثم يأتي دور الملوك

ملوك الدنيا يتميزون بفناء سريع، وحساب مُريع:

قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْد يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعية، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاش لِرَعيتِه؛ إِلَّا حرمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّة»[(١)].

إن احتجب عن رعيته، احتجب الله عنه:

قال النبي ﷺ: «مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا، فَاحْتَجَبَ دُونَ

(١) رواه البخاري، ومسلم عن معقل بن يسار.

خَلَّتِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ وَفَاقَتِهِمْ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُونَ خَلَّتِهِ وَفَاقَتِهِ وَحَاجَتِهِ وَفَقْرِهِ»[(١)].

ولا ينظر الله إلى الكذاب منهم:

قال النبي ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»[(٢)].

وانظر إلى ذلِّ الملوك بين يدي ملك الملوك:

قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ، إِلَّا أَتَى اللهَ مَغْلُولًا يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَكَّهُ بِرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ، وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ، وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» عن أبي مريم الأزدي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٦٤٧١]، و«الصحيحة» رقم [٦٢٩].

(٢) رواه مسلم، والنسائي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه أحمد في «مسنده»: [٢٢٣٠٠]، والطبراني في «الكبير»: [٧٧٢٠] عن أبي أمامة،

هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ:

لما حضرت هارونَ الرشيدَ الوفاةُ بكى وقال: «اللهم يا من لا يزول ملكه، ارحم من قد زال ملكه، ويا من لا يموت، ارحم من يموت».

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة قالوا: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟

قال: أجدني كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

ولما حضرت سليمان بن عبد الملك الوفاة قالوا: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩].

وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٥٥٩٤]، و«الصحيحة»: [٣٤٨].

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

هنا يَرُدُّ الله ويقول:

«هذه بيني وبين عبدي»

فانظر ما بينك وبين ربك

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكثيرًا ما كنتُ أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول:

إِيَّاكَ نَعْبُدُ: تنفي الشِّرك والرِّياء.

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ: تنفي الكِبر[1].

المعنى اللُّغوي[2]:

(١) «التفسير القيم»: (١/ ٥١).

(٢) «تفسير البغوي»: (١/ ٧٥) «إحياء التراث»، الآية [٥] من تفسير الفاتحة.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين

قوله: إِيَّاكَ أي: إياكَ أعني، أو إياكَ أسأل، ولا يستعمل مؤخرًا إلا منفصلًا، فيُقال: «ما عنيتَ إلا إياك».

و إِيَّاكَ نَعْبُدُ أي: لا نعبد إلا أنت.

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين أي: لا نستعين إلا بك.

أي: أنت وحدك من نعنيه بالعبادة لا غيرك، وأنت وحدك من نعنيه ونقصده بالاستعانة، لا غيرك.

نَعْبُدُ أي: نُوَحِّدك ونطيعك خاضعين.

والعبادة: الطاعة مع التذلُّل والخضوع.

وسُمِّيَ العبد عبدًا؛ لذلته وانقياده، يُقال: طريق مُعَبَّد، أي: مُذَلَّلْ.

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين أي: نطلب منك المعونة على عبادتك، وعلى جميع أمورنا.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال العون على مرضاته - سبحانه، ثم رأيته في الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١].

وإذا قال العبد: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين قال الله تعالى: «هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي»[٢].

وهذا هو الميثاق الذي بين العبد وربه، إذ من العبد العبادة ومن الرب المعونة، قال تعالى في الحديث القدسي: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك»[٣].

وفي رواية أخرى: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ويديك رزقا، يا ابن آدم لا تباعد مني فأملأ قلبك فقرا وأملأ يديك

(١) «التفسير القيم»: (٧٣/ ١).
(٢) رواه البخاري، وتقدَّم تخريجه.
(٣) رواه ابن ماجه: (٢/ ١٣٧٦) وصححه الألباني.

شغلا»[(١)].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قُل يا محمد، وهو جماع: إِيَّاكَ نَعْبُدُ يعني: إياك نُوَحِّد ونخاف ونرجو يا ربنا، لا غيرك»[(٢)].

العبادة حق للخالق وحده

بما أن الله هو الخالق وحده والرَّزاق وحده، وهو رب العالمين وحده فلابد وأن يُعبد وحده.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام:١٠٢].

---

(١) المستدرك: (٤/ ٣٦٢)، وصححه الذهبي.
(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» محققًا: (١/ ٢٩).

وقال عيسى عيه السلام لقومه: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران:٥١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك؛ وهذا هو كمال الطاعة، والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين».

وهذا كما قال بعض السلف: «الفاتحة سِر القرآن، وسِرُّها هذه الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فالأول تبرُء من الشِرك، والثاني تبرُء من الحول والقوة»[(١)].

لذلك كان الشرك أعظم الذنوب

عَنْ عَبْدِ اللَّه بن مسعودٍ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ»، رواه البخاري.

(١) تفسير ابن أبي حاتم: (١١/ ١٢).

قال قتادة في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: «على طاعتك، وعلى أمورنا كلها»[١].

وصية رسول الله ﷺ لأحبابه

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَخَذَ بِيَدِ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، أُوصِيكَ أَنْ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[٢].

العبادة هي الغاية من الخلق

والعبادة هي الغاية التي خلق الله من أجلها العباد من جهة أمر الله، ومحبة رضاه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) رواه أحمد في مسنده وأبو داود في سننه، وصححه الألباني.

وبها أرسل الرُّسُل، وأنزل الكتب، وهي اسم يجمع كمال الذُّلِ ونهايته، وكمال الحب لله ونهايته، فالحب الخلي من الذُّل، والذُّل الخلي عن الحب لا يكون عبادة، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين، ولهذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله»[(١)].

وقال أيضًا: «فقد ثبت بهذا النص أن هذه السورة منقسمة بين الله وبين عبده، وأن هاتين الكلمتين مقتسم السورة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مع ما قبله لله، و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مع ما بعده للعبد، وله ما سأل.

ولهذا قال من قال من السلف: «نصفها ثناء، ونصفها مسألة، وكل واحد من العبادة والاستعانة دعاء»[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

(١) «أمراض القلوب وشفاؤها»: (١/ ٤٤).
(٢) «قاعدة جليلة في توحيد الله» لابن تيمية: (١/ ٥٩).
(٣) «التفسير القيم»: (١/ ٩٨).

لزوم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لكل عبد إلى الموت. قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]».

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: فالربُّ - سبحانه - له نصف الثناء والخير، والعبد له نصف الدعاء والطلب، وهاتان جامعتان ما للربِّ - سبحانه - وما للعبدِ، فإياك نعبد للربِّ، وإياك نستعين للعبد.

وفي الصحيحين عن مُعاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلى حِمارٍ يُقالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعاذُ هَلْ تَدْري حَقَّ اللهِ عَلى عِبادِهِ وَما حَقُّ الْعِبادِ عَلى اللهِ» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلى الْعِبادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبادِ عَلى اللهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ: أَفَلا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا».

نحن أمةٌ عابدة

نحن أمة عابدة، ونتباهى ونزهو بعبادتنا لربنا.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة:١٣٨].

نعبد الله بالليل والنهار، والسِّر والجهار؛ ونعبد الله بأبداننا وأموالنا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].

ونعبده بكل ما نملك من الحياة إلى الممات

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

أمر بالعبادة وتكفل بالمعونة

فإن العبادة أصل المعونة وسببها وإن المعونة تأتي على قدر العبادة وبعدها، وقد أمر الله بالعبادة وتكفل بالمعونة.

فقد أمر الله بالدعاء وتكفل بالإجابة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ

رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

✍ وأمر بالاستغفار وتكفل بالمغفرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠].

✍ وأمر بالتوبة وتكفل بالقبول، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

✍ وأمر بالشكر ووعد عليه بالزيادة، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

✍ وأمر بالتوكل وتكفل بالكفاية، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

✍ وأمر بالمجاهدة وتكفل بالهداية، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

✍ وأمر بالتقوى وتكفل بالرزق والمخرج من الضوائق، قال

تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢-٣].

قال قتادة:

> من يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه، فمعه الفئة التي لا تُغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل.

العبودية شرف

فمن عبده فقد زكى نفسه وارتفع قدره، فإن الذلَّ له عِزٌّ والافتقار له غنى، ولقد مدح الله نبيه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص:٣٠].

رسول الله ﷺ يختار العبودية على الملك

ولذا فقد اختار النبي ﷺ العبودية على المُلك، عن أبي هريرة قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال له

جبريل: هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة فلما نزل قال: يا محمد أرسلني إليك ربك: أملكا جعلك لهم أم عبدا رسولا؟ فقال له جبريل: تواضع لربك يا محمد فقال ﷺ: «لا بل عبدًا رسولا»[١].

قومٌ تخللهم زهو بسيدهم
والمرء يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه به
يا حسن رؤيتهم في حسن ما تاهوا

(١) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ

قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾

هذه الآية قد جاءت بسؤال المؤمنين الهداية من ربهم بعد الآية السابقة لها والتي عاهد فيها المؤمنون ربَّهم أن لا يعبدوا إلا الله، ولا يستعينوا إلا إياه؛ إذ قالوا: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فيأتي بعدها الدعاء: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ في أسرع تطبيق للاستعانة بالله والسؤال من فضله العظيم وهو أن يهديهم إلى صراطه المستقيم.

ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ:

اهدنا: أرشدنا، وقال أُبيّ بن كعب: ثبتنا[1].

(١) «تفسير البغوي»: (١/ ٧٥)، ط. إحياء التراث.

ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ: وأصله في اللغة: الطريق الواضح.

قال ابن عباس وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو الإسلام.

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو القرآن.

ورُوِيَ عن علي مرفوعًا: الصراط المستقيم كتاب الله.

وقال سعيد بن جبير: طريق الجنة.

وقال سهل بن عبد الله: طريق السُّنَّة والجماعة.

وقال بكر بن عبد الله المُزني: طريق رسول الله ﷺ.

وقال أبو العالية والحسن: رسول الله ﷺ وصاحباه -أبو بكر وعمر.

قال القرطبي: ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ: دلَّنا على الصراط المستقيم، وأَرْشِدْنَا إليه، وأرِنا طريق هدايتك الْمُوَصِّلَةِ إلى أُنْسِكَ وَقُرْبِكَ[1].

(١) «تفسير القرطبي للفاتحة»: (١/ ١٤٧).

قال محمد بن الحنفية: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

> ولاريب ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه علمًا وعملًا، وهو معرفة الحق وتقديمه وإيثاره على غيره، فهو الصراط المستقيم، وكل هذه الأقوال دالة عليه جامعة له[٢].

الهدي من الله وحده

فالمهدي من هداه، والمكفي من كفاه، والفائز من تولاه، والمخذول من عاداه.

﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف:١٧].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) «التفسير القيم»: (١/ ٥٣).

أنواع الهداية

قال الراغب الأصفهاني[١]: وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه:

الأول: الهداية التي عم بجنسها كل مكلف من العقل، والفطنة، والمعارف الضرورية، كما قال تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠].

الثاني: الهداية التي جعل للناس على ألسنة الأنبياء، وإنزال القرآن لدعوة الناس إليه سبحانه، (وهي هداية الدلالة والبيان)، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء:٧٣].

الثالث: هداية التوفيق والسداد والإلهام (إلهام القلوب الإيمان، والتوفيق للعمل بالأبدان) وهذه لا يملكها إلا الله

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني: [٨٣٥-٨٣٦].

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣]، وكما قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧].

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة، كما قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد:٥]، وكقولهم في الجنة حين يدخلوها: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣].

وهذه الهدايات الأربع مترتبة؛ فإن من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية، بل لا يصح تكليفه، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة، ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التي قبلها[١].

(١) المصدر السابق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] بعد ما ساق أنواع الهداية الأربع: فقال:

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لسبيلي الخير والشر، وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧]، أي: بيَّنَّا لهم، وأرشدناهم، ودللناهم فلم يهتدوا. ومنها قوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء، وهذه لا يفعلها أحدً إلا الله، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [النحل:٩٣]. وفي قوله تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ [النحل:٣٧].

(١) «بدائع الفوائد»: (٣٧/ ٢).

وفي قول النبي ﷺ: «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ»[(١)].

فنفى عن الرسول ﷺ هداية الإلهام والتوفيق، وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

إن هدى الله هو الهدى

فإن الهداية ليست عدوى تنتقل بالمصاحبة، ولا تورث بصلة القرابة، وإنما هي هبة من الله سبحانه و تعالى وحده.

- فإن الله سبحانه قد هدى نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأضلَّ ابنه، وقال له: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود:٤٦].

- واصطفى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأشقا أباه، وقال فيه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:٤٦].

(١) رواه مسلم: [٨٦٧]، باب: (تخفيف الصلاة والخطبة).

- واجتبى لوطا عَلَيْهِ السَّلَامُ وأغوى زوجته، وقال فيها وفي امرأة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم:١٠].

- وهدى امرأة فرعون، فكانت أهدى نساء العالمين، وأغوى زوجها فكان أضل العالمين جميعًا، وقالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم:١١].

وهدى رسول الله ﷺ وهو أحب الناس إليه:

فهداه إلى أحسن دين، وإلى الصراط المستقيم، وهدى به حتى مَنْ عاداه، وأضل عمَّه أبا طالب وهو من أحبابه، وقال له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

ولذلك قالوا:

- لا تغتر بشرف الصُّحبة، فقد كان إبليس رفيقًا للملائكة، ثم لُعِن.

- ولا تغتر بشرف الأماكن، فقد كان آدم في الجنة، ثم خرج منها.

- ولا تغتر بشرف النسب، فقد اهتدى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وكفر أبوه، واهتدى نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وضلَّ ولده، واهتدى لوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وضلَّت زوجته، واهتدت امرأة فرعون وضلَّ زوجها.

الصراط المستقيم هو الإسلام:

قال النبي ﷺ:

«ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، عَلَى كَتِفَيِّ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى الصِّرَاطِ دَاعٍ يَدْعُو يَقُولُ:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْلُكُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَعْوَجُّوا.

وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ فَتْحَ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْلَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ.

فَالصِّرَاطُ: الْإِسْلَامُ، وَالسُّتُورُ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ

مَحَارِمُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي الَّذِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقُ: وَاعِظُ اللَّهِ يَذْكُرِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»[(١)].

وفي رواية: «وَالدَّاعِي مِن فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»[(٢)].

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ:

والصراط المستقيم هو الذي قصد إبليس سالكيه بالعداوة، وتَوَجَّه إلى السائرين فيه يريد بهم الشقاوة، وتَوَعَّد أهله بالحرب، ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٦]، أي: بالصد عنه، وتزيين الباطل حتى يهلكوا كما هلك، أو يضلوا كما ضلَّ، أو يخيبوا كما خُيِّب[(٣)].

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «خطَّ لنا رسول الله ﷺ

(١) رواه الحاكم في «المستدرك»: [٢٤٥]، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علة، ولم يخرجاه.

(٢) رواه أحمد: [١٧٦٣٤]، والترمذي في «سننه»، وصححه الألباني.

(٣) «تفسير القرطبي»: (٧/ ١٧٥).

خَطًّا فقال: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، فقال: «هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ تَلَا ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]»[(١)].

من أسباب الهُدى

الاستهداء: وهو طلب الهُدى، والدعاء به، وسؤاله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال تعالى في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»[(٢)]، ولذلك كان الدعاء في الفاتحة: ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ.

طلب الهداية من المهتدين أعظم وأكمل من غيرهم:

فقد بنى إبراهيم قبلة الصلاة ومع ذلك فهو يقول: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم:٤٠].

---

(١) رواه أبو داود في «مسنده»: [٢٤١]، والحاكم في «المستدرك»: [٣٢٤١] وقال: حديث صحيح، ولما يخرجاه.

(٢) رواه مسلم: [٢٥٧٧]، باب: (تحريم الظلم).

وكسر الأصنام وهو يدعو: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

وأذَّن في الناس بالحج وهو يسأل الله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآ﴾ [البقرة:١٢٨].

إمام المهتدين يطلب الهدى:

عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»[(١)]، وكان يقول: «ربِّ أَعِنِّي، وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي، وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي»[(٢)].

(١) رواه مسلم: [٢٧٢١]، باب: (التعوُّذ من شرِّ ما عُجِل ومن شر ما لم يُعجل).

(٢) رواه أبو داود في «سننه»: [١٥١١]، والترمذي في «سننه»: [٣٥٥١]، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، والحديث بتمامه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان النبي ﷺ يقول: «ربِّ أَعِنِّي، وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا لَكَ، ذَكَّارًا لَكَ، رَهَّابًا لَكَ، مِطْوَاعًا لَكَ، مُخْبِتًا إِلَيْكَ، أَوَّاهًا مُنِيبًا، تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي».

طلب هداية الطريق وسداد السهم:

عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ»[(١)]، وكان يطلب الهدى عند الاختلاف.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[(٢)].

الاستمساك بكتاب الله:

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥].

(١) رواه مسلم: [٢٧٢٥]، باب: (التعوُّذ من شرِّ ما عُجِل ومن شر ما لم يُعَجل).
(٢) رواه مسلم: [٧٧٠]، باب: (الدعاء في صلاة الليل وقيامه).

وقال النبي ﷺ: «كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ، وَأَخَذَ بِهِ، كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ، ضَلَّ»[(١)]، وفي رواية: «كِتَابُ الله عَزَّوَجَلَّ هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ»[(٢)].

وفي حديث لمسلم: قال ﷺ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ»[(٣)].

الاعتصام بالله سبحانه:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

اعتصم به نوح فحمله بين أمواج وبحار، واعتصم به إبراهيم فأبرد له النار، واعتصم به رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار فأنجاه من

(١) رواه مسلم: [٧٧٠].
(٢) رواه مسلم: [٢٤٠٨].
(٣) رواه مسلم: [١٢١٨].

الكفار، واعتصم به موسى والبحر أمامه وفرعون وجنوده من خلفه حتى: ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦١-٦٢].

طاعة النبي ﷺ واتباع سنته:

فمثلنا ومثله ﷺ كالأعمى والبصير، والأصم والسميع.

قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور:٥٤].

عن ابن عباس وغيره: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ جعل الله سبحانه الاهتداء مقرونًا بطاعته ﷺ[(١)].

قال عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)].

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ

إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ

(١) «تفسير القرطبي»: (١٢/ ٢٩٦)، تفسير سورة النور.
(٢) رواه البخاري: [١١٥٥]، باب: (من تعار من الليل فصلى).

أَرَانَا الهُدَى بَعْدَ العَمَى فَقُلُوبُنَا

بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهَدي هديُ محمد ﷺ[(١)].

قال الهروي: الهَدْيُ: هو الطريق، أي: أحسن الطريق طريق محمد ﷺ[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى[(٣)] هُدَى مُحَمَّدٍ»[(٤)].

الْهُدَى: هو الدلالة والبيان والإرشاد.

(١) رواه البخاري: [٦٠٩٨]، باب: (في الهدي الصالح).
(٢) «شرح صحيح مسلم» لمحمد فؤاد عبد الباقي: (٥٩٢/ ٢).
(٣) رواه مسلم، باب: (تحقيق الصلاة والخطبة).
(٤) «تفسير القرطبي»: (٣٦٥/ ١٣)، تفسير سورة العنكبوت.

قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢].

قال الضحَّاك:

> مثل السُّنة في الدنيا كمثل الجنة في الآخرة، من دخل الجنة في الآخرة سَلِم، كذلك من لَزِمَ السُّنة في الدنيا سَلِم[(١)].

(١) «تفسير التستري»: (٩٨/ ١)، تفسير سورة الكهف.

صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُتْبَةَ: «لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا وَهُوَ لَا يَشْعُرُ».

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾

قال الطبري في «تفسيره»: وقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ توضيح وإبانة أيِّ الصراط هو؟! صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك، وأنبيائك، والصديقيين، والشهداء، والصالحين.

كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ طريق من أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة، والنبيين، والصديقيين، والشهداء، والصالحين؛ الذين أطاعوك وعبدوك[١].

وقال عبد الرحمن بن زيد: صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ قال: «النبي ﷺ ومَنْ مَعَهُ»[٢].

النعمة العظمى هي الإسلام:

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ أي: أنعمت عليهم في دينهم وصلاحهم وتوحيدهم لله سبحانه، وتلك هي النعمة الحقَّة، فمن أحبه الله أعطاه إيَّاها.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ الله لَيُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ أَحَبَّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ»[٣]، وفي

(١) «تفسير الطبري»: (١/ ١٧٨)، تفسير سورة الفاتحة.
(٢) نفس المصدر.
(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: [٣٦٧١]، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

رواية: «إِنَّ الله يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ»[(١)].

قال الطبري: غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ الذين لم تنعم عليهم في أديانهم، ولم تهدهم للحق، فلا تجعلنا منهم[(٢)].

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ

المعاني اللغوية:

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ:

قال الأصفهاني: الغضب هو الانتقام[(٣)].

وقال القرطبي: الغضب: هو العقاب[(٤)]، وغالبًا ما تجد الانتقام والعقاب مقرونًا بالغضب، كقوله تعالى: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة:٩٠].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: [٩٥].
(٢) «تفسير الطبري»: (١/ ١٨٣) «جامع البيان». ت شاكر.
(٣) «المفردات» للأصفهاني: [٦٠٨].
(٤) «تفسير القرطبي»: (١/ ١٥٠)، (٢/ ٢٨).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ففيه أمران:

الأول: أنه قد حذف الفاعل في الآية، وإن كان الله - سبحانه - قد غضب عليهم، فلم يقرن اسمه بهم في هذه الآية تقليلًا من شأنهم، وإهانة وتحقيرًا لهم.

الثاني: فإن (المغضوب عليهم) تشير إلى أن الغضب عليهم ولعنتهم لم تكن من الله وحده، ولكن خلق الله من الصالحين، كالملائكة والأنبياء والعلماء يغضبون لغضبه، ويلعنون من يلعن الله سبحانه وتعالى، كما قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[1].

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ

الضلال في كلام العرب هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق، ومنه ضلَّ اللبن في الماء، أي: غاب.

(١) «التفسير القيم»: (١/ ١٧).، البقرة(١٦١)

ومنه قول الكافرين: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة:١٠] أي: غبنا بالموت، وصرنا ترابًا.

قال الشاعر:

ألم تَسْأل فَتُخْبِرَكَ الدِّيارُ
عن الحَيِّ الـمُضَلَّل أَينَ سَارُوا[١]

مَن هم المغضوب عليهم والضالون؟

عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ الْيَهُودُ، وَلَا الضَّالِّينَ النَّصَارَى».

قال ابن أبي حاتم: «ولا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافًا»[٢].

قال القرطبي: «فالجمهور: أن المغضوب عليهم: اليهود، والضالين: النصارى، وجاء ذلك مُفسَّرًا عن النبي ﷺ في حديث

(١) المصدر السابق.
(٢) «تفسير ابن أبي حاتم»: (١/ ٣١)، والترمذي: (٨/ ١٣٥).

عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق، وشهد لهذا التفسير أيضًا قوله سبحانه في اليهود: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البقرة:٦١]، و﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦]، وكقوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة:٩٠]. قيل في هذه الآية: فباؤوا بغضبين: الغضب الأول - لعبادتهم العجل، والثاني - لكفرهم برسول الله محمد ﷺ»[(١)].

وقال في النصارى: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولى بوصف الغضب، وأحق به، ومن هاهنا كان اليهود أحق به، وهو متغلظ في حقهم، كقوله تعالى في وصفهم: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة:٩٠].

والجاهل بالحق أحق باسم الضلال، ومن هنا وُصِفَت النصارى

(١) «تفسير القرطبي»: (٢/ ٢٨).

به في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧][(١)].

الجهل والعناد

قال الشيخ ابن العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأسباب الخروج عن الصراط المستقيم نوعان: إمَّا الجهل، أو العناد.

والذين سَبَبُ خروجهم العناد: هم المغضوب عليهم، وعلى رأسهم اليهود.

والآخرون الذين سبب خروجهم الجهل: وكل من لا يعلم الحق، وعلى رأسهم النصارى؛ وهذا بالنسبة لحالهم قبل البعثة أي: النصارى، أمَّا بعد البعثة، فقد علموا الحق وخالفوه، فصاروا هم واليهود سواء، كلهم مغضوبٌ عليهم[(٢)].

(١) «التفسير القيم»: (١/ ١٥).
(٢) تفسير الفاتحة للشيخ ابن عثيمين: ١/ ١١.

خطورة اليهود والنصارى

إن اليهود والنصارى لايزالون يخططون، ومافتئوا يحاولون إضلال المسلمين عن دينهم؛ ليصبحوا أئمة كل فساد، والقدوة في كل رذيلة.

قال النبي ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قلنا يا رسول الله، اليهود والنصارى، قال: «فَمَنْ»[(١)].

سعيهم الدائم في إضلال المسلمين:

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩].

وقالوا: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ [البقرة:١٣٥]، فردَّ الله عليهم: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥].

(١) رواه البخاري: [٣٤٥٦]، باب: (ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل) شرح: مصطفى البغا.

بل أرادوا نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو صاحب الحنيفية السمحة أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا،

فردَّ الله عليهم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧].

بل أرادوا إضلال رسول الله ﷺ نفسه وهو إمام الموحدين قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠].

الأحناف لا يكونوا يهودًا أو نصارى:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: « أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ، وَيَتْبَعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ اليَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ، فَأَخْبِرْنِي، فَقَالَ: لاَ تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، قَالَ زَيْدٌ مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ فَهَلْ تَدُلُّنِي

عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ زَيْدٌ: وَمَا الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا، وَلاَ نَصْرَانِيًّا، وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لتفَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، قَالَ: مَا أَفِرُّ إلا مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلاَ مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ: وَمَا الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا [ص:٤١]، وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ»[(١)].

علماء الهوى وعباد الضلال:

وجِماع ذلك أن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم، فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه لاقولًا ولا عملًا.

وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم، فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله، ويقولون على الله ما لا

(١) رواه البخاري: [٣٨٢٧]، باب: (حديث زيد بن عمرو بن نُفيل).

يعلمون، وينطبق عليهم قول أيوب السختيانيى: «مَا ازْدَادَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ اجْتِهَادًا إِلَّا ازْدَادَ بِهَا مِنَ اللَّهِ بُعْدًا».

قال سفيان بن عُيينة:

«إن مَنْ فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومَن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى»[١].

تحذير النبي ﷺ من أفعالهم

لقد ظل رسول الله ﷺ يحذر منهم في حياته وحتى الممات.

في هذا الموقف العصيب لمفارقة الحياة، ونزع الروح من الجسد.

عن عائشة، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالا: «لما نزل برسول الله ﷺ -أي: نزل به الموت- طفق يطرح خميصة على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها عن وجهه، فقال وهوكذلك: «لَعَنَةُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يحذر ما صنعوا[٢].

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ١٣٨.
(٢) رواه البخاري: [٤٣٥].

الأمر بمخالفتهم:

قال رسول الله ﷺ «أَعْفُوا[١] اللِّحَى، وَخُذُوا الشَّوَارِبَ، وَغَيِّرُوا شَيْبَكُمْ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»[٢].

النهي عن حبهم وموالاتهم

قال تعالى ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

عن عبد الله بن عتبة قال: ليتق أحدكم أن يكون يهوديًّا أو نصرانيًّا وهو لايشعر، قال محمد بن سيرين:فظننناه يريد هذه الآية: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾[٣].

---

(١) اعفوا: قال السندي: من الإعفاء، أي: التكثير.
(٢) رواه أحمد: [٨٦٧٢]، والترمذي: [١٧٥٢]، وقال: حديث حسن صحيح.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ١٢٠ ط العلمية.

وحذرمن الاختلاف كما اختلفوا

فقال رسول الله ﷺ: «لَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا»[١]. سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم.

الطبقية والتفرقة العنصرية في مجتمعاتهم

وهم الذين أرسوا قواعد العنصرية والتفرقة الطبقية وعمقوا آثارها السيئة فالناس عندهم ليسوا سواء، والقضاء لديهم يحكم بالأهواء، فالغني بريء ولو ثبتت ادانته، والضعيف متهم ولو ثبتت برائته.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدّ» [رواه البخاري ومسلم].

يطلبون صنما ليعبدوه

يتصف اليهود بالمادية القاتلة التي لا يغيرها إيمان بالغيب، ولا

(١) رواه البخاري: [٢٤١٠].

يوقفها معجزات قد رأوها بأعينهم، فبعدما نجاهم الله من فرعون وجنوده، أخذتهم ماديتهم تلك إلى أن يطلبوا إلهًا يكون أمامهم؛ ليشاهدونه ويلمسونه ويتحدثون إليه، ولو كان هذا الإله تمثالًا لبقرة!

قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٤٨].

بهذه القلوب القاسية لجهال بني إسرائيل قد استبدلوا عبادتهم لله - سبحانه - بعبادتهم لعجل من البقر، ويكونوا في ذلك قد سبقوا الهندوس في عبادة الأبقار، ولكن الهندوس يعبدون البقر الحيّ من أجل ألبانها، أمَّا اليهود فقد عبدوا صنمًا لا ينفع ولا يضر.

تحذير رسول الله ﷺ شركهم

ولذلك حذَّر رسول الله ﷺ من التعلق بغير الله، أو التبرك بشيءٍ

من المخلوقات، كالحجر، والشجر، ... وغيرها، حتى لا يكونوا كاليهود الذين سألوا إلهًا غير الله.

عن أبي واقد الليثي: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين، مرَّ بشجرة للمشركين يُقال لها: ذات أنواط يُعلِّقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[الأعراف:١٣٨] وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[(١)].

اليهود يؤذون خالقهم سبحانه:

رفضوا الإيمان به سبحانه حتى يرونه جهرة.

﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء:١٥٣].

(١) رواه أحمد: [٢١٩٠٠] في «المسند»، والترمذي في «سننه»: [٢١٨٠]، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

ثم استغرقوا في عبادة المال حتى وقعوا في سبِّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أجله، فقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١].

عن عكرمة: إنها نزلت في فنحاص اليهودي - عليه لعنة الله -، فضربه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَدْمَى وجهه[(١)].

وتارة يصفونه سبحانه بالبخل. قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لا يعنون بذلك أن يد الله مُوثَقة، ولكن يقولون: بخيل أمسك ما عنده - تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا[(٢)]، بل يداه مبسوطتان: فردَّ الله سبحانه عليهم بقوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤].

وقال النبي ﷺ: «يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لَا يُغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ

(١) «تفسير ابن كثير»: (٣/ ١٤٦).
(٢) «تفسير ابن كثير»: (٣/ ١٤٦).

وَالنَّهَارَ»، وقال: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ»[(١)].

تكذيبهم وقتلهم الأنبياء:

قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧].

يتفاخرون بقتل الأنبياء كأنه ممدحة:

✍ هل تتصور أن أحدًا يتباهى بقتل رسول من عند الله؟!! لم يفعل هذا أحدٌ قط إلا اليهود.

✍ قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١٥٧].

بالرغم من رد الله عليهم، وتخييبه ظنهم بقوله سبحانه: ﴿وَمَا

(١) رواه البخاري: [٧٤١١]، باب: قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧]، لكنهم قومٌ يسعدون بقدرتهم على القتل، ويتباهون بإزهاقهم الأرواح حتى لو كانوا أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام .

تكذيبهم برسول الله ﷺ، ومحاولات قتله:-

أما التكذيب فقد قال تعالى:﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠١].

روى مسلم في صحيحه، أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يَسْمَعُ بِي أحد من هذه الأمة لا يَهُودِيٌّ، وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كانَ مِنْ أَصْحَابِ النار».

وأما محاولات قتلهم لرسول الله ﷺ

فتارة حاولوا قتله ﷺ بإلقاء حجر فوق رأسه فأعلمه الله بذلك، وتارة حاولوا قتله ﷺ بالسم فنجاه الله منهم.

فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ، قَالَ: «مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ» قَالَ: - أَوْ قَالَ - «عَلَيَّ» [رواه البخاري ومسلم].

فما ظنكم بما ينتظر المسلمين على أيديهم إن هم تمكنوا منهم؟!!

وبنظرة عابرة لما يفعله اليهود من قتل المسلمين في فلسطين ولبنان والمجازر التي ارتكبوها مثل دير ياسين وصابرا وشاتيلا والحروب المتتالية على غزة سوف تعرف طبيعتهم الحاقدة ونفسيتهم القاتلة.

يعادون الملائكة، ويوالون الشياطين:

لقد ظل اليهود يبغضون الحق حتى كرهوا من نزل به من الملائكة وأحبوا الباطل حتى أحبوا من نشره بين الناس وهم الشياطين

قَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ، لِلنَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ» [رواه البخاري].

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧-٩٨].

أما حالهم مع الشياطين فالموالاة والاتباع

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة:١٠٢].

سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا:

ولما كان اليهود في عنادٍ دائم مع الحق، فإذا جائهم الحق أنكروه، فإن لم يستطيعوا أخفوه، فإن لم يتمكنوا حرَّفوه، فإذا ضاقت بهم السبل، وسُدَّت أمامهم طرق الجحود، كان الصدام مع الحق بقولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة:٩٣].

قال رسول الله ﷺ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ».

قَالُوا: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»[١].

وعندنا ثلاث مواقف في مكر اليهود وخداعهم:

١-احتيالهم في أكل الحرام:

ولما سئل النبي ﷺ عن استعمال شحوم الميتة ؟ قال: «قَاتَلَ اللهُ يَهُودَ، إِنَّ اللهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا، جَمَّلُوهُ[٢]، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ»[٣]، وفي رواية: «قَاتَلَ اللَّه الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا، فَبَاعُوهَا»[٤].

٢- اعتدائهم في السبت

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة:٦٥].

---

(١) رواه مسلم: [١٢٥]، باب: بيان قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة:٢٨٤].

(٢) جملوه: أذابوه.

(٣) رواه البخاري: [٢٢٣٦]، باب: (بيع الميتة والأصنام).

(٤) رواه البخاري: [٢٢٢٣]، باب: (لا يُذاب شحم الميتة، ولا يباع ودكُه).

قال ابن كثير: فلما فعلوا ذلك مسخهم الله إلى صورة القردة، وهي أشبه شيء بالأناسيّ في الشكل الظاهر، وليست بإنسان حقيقةً، فكذلك اعمال هؤلاء، وحيلهم لما كانت مشابهة للحق في الظاهر، ومخالفة له في الباطن كان جزاؤهم من جنس عملهم.

٣-نقضهم العهود

بهذه القلوب الجامدة، وبهذه النفسية الحاقدة الجاحدة رفضوا العهود، وخانوا الوعود؛

قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمْۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:١٠٠].

قال الحسن البصري: نعم، ليس في الأرض عهدٌ يعاهدون عليه إلا نقضوه ونبذوه، يعاهدون اليوم، وينقضون غدًا[(١)].

حبهم للدنيا:

فسوف تجدهم أنشط الناس لدنياهم، وأكسل الخلق لأُخراهم،

(١) «تفسير ابن كثير»: (١/ ٣٤٥).

وأعبد الناس لمالهم، وأكفرهم بربهم، فالمال قِبلتهم، والدنيا مِحرابهم.

قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة:٩٦].

بل تجد أن اعتزازهم بالمال، واعتدادهم بالغِنى قد أصابهم بالغرور، الذي رأوا أنفسهم معه أفضل مَنْ في الوجود، وأغنى مَنْ في الكون؛ حتى وصلوا إلى الكفر الذي ليس بعده كفر، وهو أنهم فضَّلوا أنفسهم على خالِقهم حين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١].

قال النبي ﷺ: «اتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»[(١)]،

(١) رواه مسلم: [٢٥٧٨]، باب: (تحريم الظلم) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي رواية: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا»[(١)].

أمَّا عن أكل أموال الناس بالباطل، فما ظنك بعقيدتهم التي تُبيح لهم أكل الربا من غير اليهود؟!! أو ماذا تنتظر من أخلاق تستحل الحرام وتأكل بدينها؟!!

قال تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٦١].

تحذير النبي ﷺ:

قال ﷺ: «فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُم، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُم أَنْ تُبْسَطَ عَلَيكُم الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُم، فَتَنَافَسُوا فِيهَا

(١) رواه أحمد في «مسنده»: [٦٧٩٢]، وأبو داود في «سننه»: [١٦٩٨]، وصححه الألباني والحاكم في «المستدرك»: [١٥١٦] وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُم كَمَا أَهْلَكَتْهُم»[(١)]، وفي رواية: «فَتُلْهِيكُم كَمَا أَلْهَتْهُم»[(٢)].

أمثلة على ضلال النصارى

١- قولهم إن الله ثالث ثلاثة:

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

٢- ادعائهم لله الولد:

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٨٨- ٩٣].

---

(١) رواه البخاري: [٤٠١٥].

(٢) رواه البخاري: [٦٤٢٥]، باب: (ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها).

٣- ضلالهم في مسألة الصلب:

قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ٧٣].

٤- اليهود والنصارى اتخذوا أربابًا من دون الله:

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

عنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ:

> إِنَّ الرُّبُوبِيَّةَ أَنْ يُطِيعَ النَّاسُ سَادَتَهُمْ وَقَادَتَهُمْ فِي غَيْرِ عِبَادَةٍ.

عن عدي بن حاتم الطائي قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب قال فسمعته يقول: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: قلت: يا رسول الله إنهم لم يكونوا يعبدونهم! قال: «أجل، ولكن يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه، ويحرمون عليهم ما أحل الله فيحرمونه، فتلك عبادتهم لهم» [سنن البيهقي الكبرى].

الصور والتماثيل في كنائسهم:

كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يدخل الكنائس، لما فيها من الصور والتماثيل.

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّا لاَ نَدْخُلُ كَنَائِسَكُمْ مِنْ أَجْلِ التَّمَاثِيلِ الَّتِي فِيهَا الصُّوَرُ»[(١)].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يُقال لها: ماريا، فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: «أولئكَ قومٌ إذا ماتَ فيهم العبدُ الصَّالحُ أو الرَّجلُ الصالحُ بنَوا على قبرِهِ مسجدًا، وَصَوَّروا فيه تلك الصُّورَ، أولئكَ شرارُ الخَلْقِ عند الله»[(٢)].

ولتعلم كم الشر الذي تسبب فيه هؤلاء انظر إلى ما فعلوه في كنائس روما فقد صوروا فيها الأنبياء والملائكة وصنعوا لهم التماثيل العارية بل وأرادوا تصوير الله نفسه سبحانه وتعالى عما يقولون ويفعلون علوًّا كبيرًا.

(١) رواه البخاري، باب: (الصلاة في البيعة).
(٢) رواه البخاري: [٤٣٤]، باب: (الصلاة في البيعة).

أما في النواحي الأخلاقية

فحسبك أن تقرأ أقوالهم في نصوصهم غير المقدسة عن أنبياء الله داود وسليمان ولوط بل وعيسى وأمه مريم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لكي تعلم هذه الصورة اللاأخلاقية التي وضعتها تلك النصوص لحياة الأئمة والقدوة.

ما هو موقف النصرانية من التوبة وإصلاح النفس؟

ففي إنجيل متى [٥]: «فإن زلَّت عينك اليمنى، فاقتلعها وألقها عنك، وإن زلَّت يدك اليمنى، فاقطعها وألقها عنك؛ لأنه خيرٌ لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يُلقى جسدك كله في جهنم».

السؤال الأول: هل استطاع أحدٌ من النصارى أن ينفذ هذا الأمر، فيقلع عينه إذا نظر بها إلى امرأة، أو يقطع يده إذا لمسها؟!!، والسؤال الثاني: أين التوبة؟!!

ضلالهم في العلاقات الزوجية

ما هو موقفهم من الطلاق؟

فقد حكم كتابهم بألا يكون طلاقٌ بين الرجل والمرأة ولو كانا كارهين للحياة معًا إلا إذا اتهم الرجل زوجته بالزنا مما دفع كثير من الأزواج للإتفاق على ذلك ظاهريا للخلاص كل منهمامن الآخر ، فإذا حدث الطلاق وأراد رجل الزواج من المطلقة فهما زانيان وإليكم النص كما هو من كتابهم

وأما أنا فأقول لكم: إن من طلَّق امرأته إلا لعلة الزِّنى يجعلها تزني، ومَنْ يتزوج مطلقة فإنه يزني [إنجيل متى ٥].

لقد أدت هذه النصوص لدى تلك المجتمعات إلى الزهد في الزواج، والإكتفاء بالعلاقات المحرمة

هذا حالهم ولكن الإسلام شيءٍ آخر

لقد أعطى الإسلام الزوجين ثلاث فرص ليعيدوا تقييم قدرتهم

على الحياة معا بالمعروف أو يفترقا بالمعروف، قال تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ [البقرة:٢٢٩].

ماذا عن السلام وصلة الأرحام؟

قال يسوع: «لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض، ما جئت لألقي سلامًا، بل سيفًا، فإني جئت لأُفَرِّق الإنسان ضِدَّ أبيه، والابنة ضِدَّ أمِّها، والكَنَّة ضد حَماتِها، وأعداءُ الإنسان أهلُ بيته» [إنجيل متى ١٠].

ومن أجل هذه النصوص وغيرها ينسب للمسيح رفضه لصلة الرحم، وانظروا إلى المجتمعات التي تؤمن بهذه الكلمات في كتابهم المقدس،

كم عقُّوا الآباء والأمهات؟!! وكم طرد الأبناء والديهم ليتزوجوا في نفس البيت الذي طالما راعاه فيه أبواه؟!، بل سلوا دور المسنين، وكم عدد مَنْ فيها ممن انقطع عن زيارتهم أولادهم منذ سنين؟!!.

هذا حالهم ولكن الإسلام شيءٍ آخر

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

وما هو موقفهم من العلم والحكمة؟

«بل اختار الله جُهَّال العالم ليخزي الحكماء» [رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس].

هذا حالهم ولكن الإسلام شيءٍ آخر

لقد سجلت الكنيسة رفضها للعلم والحكمة التي لا تتوافق مع عقائدها، وسطرت هذا الرفض بدماء العلماء والحكماء.

هذا الموقف الرافض، بل المكفِّر لكل فكر أو اكتشاف لا ترضى عنه الكنيسة، مما أدى بكثير من علماء الكون إلى الإعدام حرقًا بالنار، على حين كان العلماء في دولة الإسلام موضع التَجِلَّة والإكرام، حتى

وإن كانوا غير مسلمين، وكان العلماء من كل مِلَّة في مجلس الخلفاء والسلاطين قعودًا مكرمين، والوزراء والكبراء في هذا المجلس قيامٌ.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

فما هو سبب معاداة الكنيسة للعلم والحكمة؟!

الجواب في كتابهم المقدس، في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، يقول: «سَأُبيد حكمة الحكماء، وأرفض فهم الفهماء»[(١)].

أما الإسلام فقد أعظم من شأن الحكمة وأصحابها، وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

حسد اليهود على التأمين

لم يثر حسد اليهود على المسلمين شيء مثل السلام بينهم

(١) الآية ١٩ في الإصحاح الأول.

والتأمين على الفاتحة والدعاء؛ لأن اليهود هم أعداء السلام، وأعداء الدين أيضًا قال رسول الله ﷺ:

«مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ»[١].

(١) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.

	هم قالوا	نحن نقول
قالوا عن الله	يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ	بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ
الظن بالله	إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ
الوحدانية	عيسى ابن الله	وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا
التوحيد	إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ	قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ
الطاعة	قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا	سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ

صحة المنهج	منذ مطلع القرن الماضي لديهم مائة وأربع وعشرون نسخة لكتابهم المقدس كلها محرفة ولا تشابه إحداهما الأخرى ولدينا نسخة واحدة.	لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ
في عبادة الله	إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ	مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ

الروافض مع المغضوب عليهم والضالون

وهذا كلام قيم لابن القيم في وصف الصراط المستقيم وأن

أهله والأحق به هم أصحاب النبي ﷺ وأن من عاداهم وآذاهم وهم الشيعة أولى بأن يكونوا مع المغضوب عليهم والضالين

فيقول رحمه الله:

«فكل من كان أعرف للحق، وأتبع له كان أولى بالصراط المستقيم. ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم: هم أولى بهذه الصفة من الرافض. فإنه من المحال أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم جهلوا الحق وعرفه الروافض، أو رفضوه وتمسك به الروافض.

ثم إنا رأينا آثار الفريقين تدل على أهل الحق منهما، فرأينا أصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الكفر، وقلبوها بلاد إسلام، وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدى. فآثارهم تدل على أنهم هم أهل الصراط المستقيم.

ورأينا الرافضة بالعكس في كل زمان ومكان، فإنه قطّ ما قام للمسلمين عدو من غيرهم إلا كانوا أعوانهم على الإسلام، وكم

جرّوا على الإسلام وأهله من بلية؟ وهل عاثت سيوف المشركين عبّاد الأصنام من عسكر هولاكو وذويه من التتار إلا من تحت رؤوسهم؟ وهل عطلت المساجد، وحرقت المصاحف، وقتل سروات المسلمين وعلماؤهم وعبادهم وخليفتهم إلا بسببهم ومن جرّائهم؟ ومظاهرتهم للمشركين والنصارى معلومة عند الخاصة والعامة، وآثارهم في الدين معلومة.

فأي الفريقين أحق بالصراط المستقيم؟ وأيهم أحق بالغضب والضلال، إن كنتم تعلمون؟ ولهذا فسر السلف الصراط المستقيم وأهله:بأبي بكر وعمر وأصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، وهو كما فسروه»[1].

(١) التفسير القيم: ١/ ٦٦.

ولقاؤنا في الجزء الثاني مع أجمل كلمات الله قريبا إن شاء الله والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وسيكون قريبا إن شاء الله تعالى مختصر لهذا الكتاب أكثر سهولة ويسرا من الأصل في حجم خفيف.

فهرس المحتويات

مِنْ فَضَائِلِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ..... ٧

١- الفاتحة أعظم سورة في القرآن:..... ٨

٢- لم ينزل مثل الفاتحة في أي كتاب من السماء:..... ٩

٣- الملائكة تُبَشِّر بنور (الفاتحة) وبركتها:..... ٩

٤- من قرأ الفاتحة ردَّ الله عليه، ولبَّى نداءه، وأجاب دعاءه: ١٠

٥- الفاتحة أم الكتاب: ١٢

٦- الفاتحة أهم ما في الصلاة:..... ١٣

٧- قولوا: آمين يُجِبْكُم رَبُّكُم، ويُحِبُّكُم، ويَغْفِر لكُم: ١٤

٨- الفاتحة شفاء ودواء: ١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ..... ١٩

بِسْمِ اللَّهِ: أي هذا الكلام من عند الله: ٢١

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ..... ٢٥

لك الحمد يا غفار ٢٦
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٢٨
الحمد في اللغة: ٢٨
الحمد كله لله: ٢٩
حمده الناس أم لم يحمدوه فله الحمد: ٢٩
الحمد لله من خلقه ٣١
يا رب لا نحصي ثناءً عليك ٣٣
خير العباد الحمادون: ٣٤
الحمَّادون: ٣٤
الحمد صفة النبي ﷺ وأُمَّتُه: ٣٤
الأنبياء يحمدون ربهم ٣٦
«الحمد لله تملأ الميزان» ٣٧
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ آخر دعاء أهل الجنة: ٣٨

رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ..... ٣٩

المعنى اللغوي:..... ٣٩
ٱلْعَٰلَمِينَ..... ٤٠
الأنبياء يعرِّفون الرَّب سبحانه وتعالى: ٤١
الكون كتابٌ والكائنات حروف ٤٢
قدرته سبحانه: ٤٢
الرب هو: الخالق..... ٤٤
١- خلق الخلق جميعًا..... ٤٤
٢- خلقهم من عدم. ٤٤
٣- خلق بإحسان وإتقان..... ٤٤
إحسان الخلق يدل على جمال الخالق (سبحانه)..... ٤٤
٤- خلقهم في إبداع (على غير مثال سابق)، ٤٥
٥- خلق بسهولة ويُسر: ٤٥
٦- لم يتعب في خلقه. ٤٥
٧- خلق في إعجاز وتحدٍّ. ٤٦

٨- أفمن يخلق كمن لا يخلق؟!! ٤٧
٩-خلق لغير حاجة، لِمَا يَخلق؟!!..... ٤٧
ثم هدى.. ..... ٤٨
الرب هو الرزاق: ٥٠
١- رزق الخلق جميعًا: ٥٠
٢- خزائن كل شيء بيده:..... ٥٠
٣- كريم في عطائه: ٥٠
٤- حتى من كفر به يرزقه ويعافيه:..... ٥١
يعطي خلقه ويرزقهم ولا يأخذ منهم: ٥١
الله غنيٌّ عن خلقه، وهم فقراء إليه:..... ٥٢
ماغرك بربك الكريم:..... ٥٢
أُمم لا تعرف ربها ٥٤
قارون لا يعرف من يرزقه واتخذ المال ربا ٥٤
الهندوس يعبدون البقر من أجل ألبانها..... ٥٥
الشيوعية الخاسرة: ٥٦

أما لينين ٥٧
وأما ستالين ٥٧
أما عن الملحدين ونظرياتهم..... ٥٨
فها هو داروين: ٥٨
الذي حاجَ إبراهيم في ربِّه: ٦٠
وما أهون الخلق على الله إن هم عصوه !!!..... ٦٢
أ ما عن الملحد الأكبر في عالم البشر فقد قال:..... ٦٢
ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٦٥
المعنى في اللغة العربية:..... ٦٥
حاجة الخلق إلى الرحمة ٦٦
الله أرحم من الأم بولدها: ٦٧
رحمة الله لا تعز على طالب:..... ٦٨
رحمة الله بين خلقه ٦٩
تودده عز وجل إلى عباده:..... ٧٠
يقبل القليل، ويعطي الجزيل:..... ٧١

رحمته بالضعيف من خلقه: ٧٣
رحمته «سبحانه» بالعُصاة والمذنبين: ٧٤
وتراه يرحم من عاداه وعصاه: ٧٥
يدعوهم إلى التوبة برفق الخالق بخلقه، وبرحمة الرب لعبيده: ٧٦.
الفرق بين اسمي الله: ٱلرَّحْمَٰنُ وَٱلرَّحِيمُ. ٧٨
مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٨١
المعاني اللغوية: ٨١
مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّين: ٨٢
لا مَلِكَ إلا الله: ٨٤
إليه يُرَد علم الساعة ٨٥
لمن الملك اليوم؟! ٨٧
يملك الجنة ونعيمهما، ويملك النار وجحيمها: ٩٣
ثم يأتي دور الملوك ٩٣
ملوك الدنيا يتميزون بفناء سريع، وحساب مُريع: ٩٣
إن احتجب عن رعيته، احتجب الله عنه: ٩٤

ولا ينظر الله إلى الكذاب منهم: ٩٤
وانظر إلى ذلّ الملوك بين يدي ملك الملوك: ٩٥
هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ: ٩٥

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ..... ٩٧

المعنى اللُّغوي: ٩٧
العبادة حق للخالق وحده ٩٩
لذلك كان الشرك أعظم الذنوب ١٠١
وصية رسول الله ﷺ لأحبابه ١٠١
العبادة هي الغاية من الخلق ١٠٢
نحن أمةٌ عابدة ١٠٤
ونعبده بكل ما نملك من الحياة إلى الممات ١٠٥
أمر بالعبادة وتكفل بالمعونة ١٠٥
العبودية شرف ١٠٧
رسول الله ﷺ يختار العبودية على الملك ١٠٧

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ١٠٩

الهدي من الله وحده ١١١
أنواع الهداية ١١٢
إن هدى الله هو الهدى ١١٥
وهدى رسول الله ﷺ وهو أحب الناس إليه: ١١٦
الصراط المستقيم هو الإسلام: ١١٧
من أسباب الهُدى ١١٩
طلب الهداية من المهتدين أعظم وأكمل من غيرهم: ١١٩
إمام المهتدين يطلب الهدى: ١٢٠
طلب هداية الطريق وسداد السهم: ١٢١
الاستمساك بكتاب الله: ١٢١
الاعتصام بالله سبحانه: ١٢٢
طاعة النبي ﷺ واتباع سنته: ١٢٣

صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ..... ١٢٧

النعمة العظمى هي الإسلام:..... ١٢٨

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّالِّينَ ١٢٩

المعاني اللغوية: ١٢٩

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ:..... ١٢٩

وَلَا ٱلضَّالِّين..... ١٣٠

مَن هم الغضوب عليهم والضالون؟..... ١٣١

الجهل والعناد ١٣٣

خطورة اليهود والنصارى..... ١٣٤

سعيهم الدائم في إضلال المسلمين:..... ١٣٤

الأحناف لا يكونوا يهودًا أو نصارى: ١٣٥

علماء الهوى وعباد الضلال: ١٣٦

تحذير النبي ﷺ من أفعالهم ١٣٧

الأمر بمخالفتهم: ١٣٨

النهي عن حبهم وموالاتهم ١٣٨
وحذرمن الاختلاف كما اختلفوا ١٣٩
الطبقية والتفرقة العنصرية في مجتمعاتهم ١٣٩
يطلبون صنما ليعبدوه ١٣٩
تحذير رسول الله ﷺ شركهم ١٤٠
اليهود يؤذون خالقم سبحانه: ١٤١
تكذيبهم وقتلهم الأنبياء: ١٤٣
يتفاخرون بقتل الأنبياء كأنه ممدحة: ١٤٣
تكذيبهم برسول الله ﷺ، ومحاولات قتله:- ١٤٤
يعادون الملائكة، ويوالون الشياطين: ١٤٥
سَمِعْنِا وَعَصَيْنَا: ١٤٦
وعندنا ثلاث مواقف في مكر اليهود وخداعهم:.....١٤٧
١-احتيالهم في أكل الحرام: ١٤٧
٢- اعتدائهم في السبت ١٤٧
٣-نقضهم العهود.....١٤٨

حبهم للدنيا: ١٤٨
تحذير النبي ﷺ: ١٥٠
أمثلة على ضلال النصارى ١٥١
١- قولهم إن الله ثالث ثلاثة: ١٥١
٢- ادعائهم لله الولد: ١٥١
٣- ضلالهم في مسألة الصلب: ١٥٢
٤- اليهود والنصارى اتخذوا أربابًا من دون الله: ١٥٢
الصور والتماثيل في كنائسهم: ١٥٣
أما في النواحي الأخلاقية ١٥٤
ما هو موقف النصرانية من التوبة وإصلاح النفس؟ ١٥٤
ضلالهم في العلاقات الزوجية ١٥٥
ما هو موقفهم من الطلاق؟ ١٥٥
هذا حالهم ولكن الإسلام شيءٍ آخر ١٥٥
ماذا عن السلام وصلة الأرحام؟ ١٥٦
هذا حالهم ولكن الإسلام شيءٍ آخر ١٥٧

وما هو موقفهم من العلم والحكمة؟ ١٥٧
هذا حالهم ولكن الإسلام شيءٍ آخر ١٥٧
فما هو سبب معاداة الكنيسة للعلم والحكمة؟! ١٥٨
حسد اليهود على التأمين ١٥٨
الروافض مع المغضوب عليهم والضالون ١٦١